موقف المدرسة التفكيكية الشيعية من العرفان الصوفي

أحمد قوشتي عبد الرحيم مخلوف [1]

الملخّص

يتناول هذا البحث تعريفا بالمدرسة التفكيكية الشيعية المعاصرة التي تأسست على يد محمد مهدي الأصفهاني (ت1365هـ) ومن أهم القضايا التي عرفت بها تلك المدرسة موقفها النقدي من الفلسفة والعرفان الصوفي باعتبارهما عناصر دخيلة تشوش على فهم نصوص الوحي، ومن ثم تبنت مبدأ التفكيك، أي الفصل بين المسالك المعرفية الثلاثة، وهي المسلك القرآني والعرفاني والفلسفي، ودعت إلى فهم المعارف القرآنية فهماً خالصاً، بعيداً عن عملية التأويل، والمزج بينها وبين الأفكار والمذاهب والنحل الأخرى ، وقد بدأ البحث بتحديد المقصود بالمدرسة التفكيكية، وكيف نشأت، وأبرز رجالها، ثم انتقل إلى بيان المقصود بالعرفان وعلاقته بالتصوف والإشراق، وأخيرا عرض البحث بشيء من التفصيل لمواقف رجال المدرسة التفكيكية من التصوف والعرفان مقارنة بالموقف الشيعي العام والذي مر باختلاف وتطورات عدة في علاقته بالتصوف قبولا أو رفضا.

الكلمات المفتاحية : التشيع ، المدرسة التفكيكية ، التصوف ، العرفان .

[1] أستاذ العقيدة بجامعة أم القرى، وكلية دار العلوم جامعة القاهرة . <akawashty@hotmail.com>

Tafkik School's Attitude to Sufist's Irfan

AHMED KAWASHTY MAKHLOUFH

Abstract

This research discusses the definition of current Shia's Tafkik school which was established by Mahdi Isfahani (died 1365H / 1946 BC). And one of the most important issues this school is known for, is its critical attitude toward Philosophy and Sufist's Irfan considering them as obtrusive elements which makes a confusion in understanding the texts of the Wahi, thus it adopted the principle of tafkikism - separationism in English - which means to separate between the three cognitive approaches: The Quranic approach, the Irfanic approach and the philosophic approach, and understanding the Quranic concepts in an original without any interpretation or mixing with other doctrines or ideologies.The research starts with defining the Tafkik's school, how it's founded, the most famous figures, explanation of Irfan itself and its relationship with Sufism and Illuminationism, and lastly and more detailed, the attitudes of the main characters towards the Sufism and Irfan, compared to the mainstream Shia's attitude which has gone through different stages, either approving and disapproving.

Keywords: Tafkik school , Shia , Sufist's Irfan , Mahdi Isfahani

المقدمة:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه، وسلم تسليما كثيرا، وبعد :

فثمة إشكالات كبرى واجهت التشيع الاثني عشري عبر تاريخه الطويل تسببت في انقسامات شتى، ونتج عنها ظهور طوائف وفرق يصعب حصرها[2]، وقد تنوعت أسباب تلك الإشكالات: ما بين وقائع قدرية، أو أحداث سياسية، أو مسائل عقدية ومنهجية، ومن أمثلة الأمور القدرية: موت إمام من أئمتهم دون عقب بما يهدد فكرة استمرارية الإمامة، أو موت الابن الأكبر في حياة أبيه، أو تخلف وعد ما أخبر زعماء الشيعة أتباعهم بحصوله في وقت بعينه، ثم جاء الوقت الموعود ولم يحدث شيء، ومن أمثلة الأمور السياسية : صلح الحسن بن علي مع معاوية – رضي الله عنهما – وتنازله عن الخلافة، وقبول علي بن موسى الرضا لولاية العهد في عصر المأمون، وكلها وقائع كفيلة بزعزعة مبدأ تعيين الإمامة نصا في أشخاص بعينهم، وعدم جواز تولي غيرهم بأي حال من الأحوال .

أما الإشكالات العقدية والمنهجية، فلا يكاد أصل من أصول المذهب الكبرى يخلو من نماذج لذلك، بدءا من عقيدة الإمامة والنص والوصية التي تمثل أصل التشيع، ومرورا بعقائد أساسية أخرى مثل : الغيبة، والرجعة، والبداء، والتقية، وانتهاء بأصول الاستدلال، ومنهجية الاستنباط الفقهي، والفروع المنبثقة عن ذلك كله، ومن ضمن تلك الإشكالات المنهجية : كيفية التعامل مع الكم الهائل من المرويات التي امتلأت بها كتب التشيع المعتمدة، وتضمنت ما لا يمكن التصديق بصحته، فهل تقبل تلك المرويات أم ترد، أم يميز بين المقبول والمردود، وما المنهجية المعتمدة في التصحيح والتضعيف، لا سيما أن التشيع ظل لفترة طويلة لا يعرف علم مصطلح الحديث، ولا قواعد التعامل مع المرويات تصحيحا وتضعيفا، ثم اقتبسه لاحقا – هو وعلم أصول الفقه – من كتب أهل السنة والجماعة.

وقد لجأ كثير من رجالات الشيعة إلى الاشتغال بعلوم عقلية أو ذوقية – مثل علم الكلام، والفلسفة، والعرفان الصوفي – وأدخلوها إلى البيئة العلمية الشيعية، لعلها تسهم في رفع الإشكالات المتغلغلة في

---

[2] – والمتتبع لتاريخ التشيع يدرك أن ظاهرة التشظي والانقسام من الأمور الملازمة للمذهب منذ نشأته الأولى وعبر مراحله المختلفة، وللشيعة كما ذكر الشهرستاني " في تعدية الإمام كلام وخلاف كثير، وعند كل تعدية وتوقف مقالة، ومذهب، وخبط " الشهرستاني ، عبد الكريم : **الملل والنحل** ج 1 ص 145، ولا شك أن تلك الانقسامات قد أثرت على بنية التشيع نفسه، كما أنها شاهد جلي على أنه مذهب متطور في جل مراحله لا يثبت على حال واحدة، بل إن بعض ما كان يعد غلوا عند جماعة من المتقدمين صار من ضروريات المذهب عند المتأخرين، كما ذكر ذلك المامقاني ، عبد الله : **تنقيح المقال في علم الرجال** ج 2 ص 305 .

بنيان المذهب، وتعين على محاولات تفهم عقائده ونصوص أئمته، وتقديم تصور متماسك لها يقنع الأتباع، ويجيب عن أسئلتهم الحائرة، ويدفع شناعات الخصوم .

لكن بعض الاتجاهات الشيعية رفضت بشدة تلك المحاولات، ودعت للتمسك الحرفي بما نقل عن أئمتهم من مرويات وعقائد وأحكام، وتخليصها من العناصر العقلية الوافدة : كلامية، أو فلسفية، أو عرفانية .

ومن بين تلك الاتجاهات التي ظهرت حديثا وكان لها موقف نقدي صارم من الفلسفة والعرفان الصوفي : المدرسة التفكيكية: والتي تأسست على يدي الميرزا محمد مهدي الأصفهاني (ت 1365هـ) ونادت بضرورة التفكيك بين المسالك المعرفية الثلاثة، وهي المسلك القرآني والعرفاني والفلسفي، ودعت إلى فهم المعارف القرآنية فهماً خالصاً، بعيداً عن عملية التأويل، والمزج بينها وبين الأفكار والمذاهب والنحل الأخرى[3] .

ومما يجدر التنبيه إليه: أنه لا علاقة بين المدرسة التفكيكية الشيعية المعاصرة، والمدرسة التفكيكية التي ظهرت في الغرب، وكان من أبرز رموزها جاك دريدا وغيره، ونادت بمجموعة من الآراء المتعلقة بتفكيك النص ولا نهائية المعنى، وعدم وجود معنى ثابت يمكن الجزم به، بينما التفكيكية الشيعية على الضد من ذلك، حيث دعت إلى إعادة الاعتبار للنصوص الشرعية — بما فيها روايات أئمتهم — ووجوب الاعتداد بظواهرها، ورفض التأويل إلا في أضيق الحدود، ومع أن كلتا المدرستين يشتركان في الاسم، واستخدام آلية التفكيك، واعتبارها أصلا منهجيا،إلا أنهما مختلفتان تماما في مفهوم التفكيك،وغرضه، ومراحله،وأسلوبه[4].

مشكلة البحث: ينصب اهتمام بحثنا هذا على بيان موقف المدرسة التفكيكية الشيعية المعاصرة من العرفان الصوفي، باعتبار هذا الموقف مظهرا من مظاهر تطور الموقف الاثني عشرية عموما من التصوف بين القبول والرفض، خلافا لما قد يفهم من بعض الدراسات أن علاقة التشيع بالتصوف من الأمور التي لا جدال فيها، أو أنها محل قبول عام من شتى مدارس التشيع .

---

[3] – انظر حكيمي، محمد رضا : **المدرسة التفكيكية** ص 13، وداود ، زكريا : **المدرسة التفكيكية والتأصيل للعقل الشيعي**، مجلة البصائر العدد 35، ص 54 .

[4] – انظر حكيمي محمد رضا: **المدرسة التفكيكية** ص 13، وإرشادي، محمد رضا : **فهم النص الديني رؤية على ضوء المدرسة التفكيكية** ضمن دراسات في تفسير النص القرآني ج 2 ص 55 .

الدراسات السابقة : في حدود اطلاعي لم أقف على دراسة سابقة تناولت موضوع بحثنا هذا، بل لم أقف أصلا على دراسة سنية – وليست شيعية – أفردت استقلالا للكلام عن المدرسة التفكيكية الشيعية، وكل ما وقفت عليه إما أبحاث لنفر من الشيعة المعاصرين[5]، وإما تناول عابر للتفكيكية من بعض الدارسين السنة، وليس فيها ما اختص بدراسة موقفهم من العرفان، أما علاقة التشيع عموما – وليس التفكيكية تحديدا – بالتصوف تأثيرا وتأثرا فهو موضوع مطروق بكثرة و، وقد كتبت فيه دراسات عدة لعل من أقدمها كتاب د. كامل الشيبي : الصلة بين التصوف والتشيع، وهناك أيضا رسالة د. فلاح بن إسماعيل مندكار :العلاقة بين التشيع والتصوف، ورسالة د. زيد الحمام : العلاقة بين الصوفية والإمامية، ورسالة د. عبد الله الفيفي : التشيع الفلسفي عند الشيعة الاثني عشرية .

منهج البحث : اقتضت طبيعة الدراسة وموضوعها المزج بين أكثر من منهج، فهناك المنهج التاريخي حيث تتبع الفكرة داخل التشيع الاثني عشري عبر مراحله التاريخية المتتابعة إلى أن نصل إلى الوضع الراهن لدى التفكيكيين، وهناك المنهج المقارن حيث كان من المهم المقارنة بين آراء التفكيكيين وآراء غيرهم من المدارس الشيعية الأخرى، مثل الأخباريين والأصوليين والعرفانيين .

وأما المنهج التحليلي فلا غنى عنه في فهم واستخلاص آراء رجال المدرسة التفكيكية من خلال كتبهم ونصوصهم المختلفة، وأخيرا فإن المنهج النقدي المرتكز على عقيدة أهل السنة والجماعة ضروري في بحث كهذا يتناول جانبين لا يخلوان من الأخطاء والمخالفات العقدية، وهما التشيع، والعرفان الصوفي ذو النفس الإشراقي .

خطة البحث : جاءت دراستنا هذه في ثلاثة مباحث : خصص أولها للتعريف بالمدرسة التفكيكية وأبرز رجالها، وخصص المبحث الثاني لتحرير معاني المصطلحات التي يقوم عليها البحث وهي العرفان وعلاقته بعدد من المصطلحات الأخرى مثل التصوف والإشراق، ثم جاء المبحث الثالث ليبين موقف المدرسة التفكيكية من العرفان الصوفي.

---

[5] – من أهمها كتاب منظر التفكيكية المعاصر حكيمي ، محمد رضا :**المدرسة التفكيكية**،، لبنان، دار الهادي، ط1، 1421هـ – 2000م ، وهناك أيضا مجموعة الأبحاث التي قام بتحريرها الباحث الشيعي حب الله ، حيدر ، ونشرت تحت عنوان : **المدرسة التفكيكية وجدل المعرفة الدينية**، بيروت، مؤسسة الانتشار العربي، ط1، 2015م .

المبحث الأول : التعريف بالمدرسة التفكيكية، ونشأتها، وأبرز رجالها.

كما هي العادة لدى جل المدارس الفكرية، فإن المؤسسين الأوائل لا يعنون كثيرا بقضية التعريف، وإنما يبرز ذلك لدى أجيال لاحقة تجمع تراث السابقين وتروج له وتدافع عنه، وهذا ما نلاحظه لدى المدرسة التفكيكية، حيث نجد أن أهم ما قدم لها من تعريفات كانت على يد منظرها الحالي، ومبتكر اسمها : محمد رضا حكيمي، لا سيما ما ذكره في كتابه " المدرسة التفكيكية " والذي يعد بمثابة عرض وبيان لفكر تللك المدرسة .

وقد عرف حكيمي المقصود بالمدرسة التفكيكية فذكر أنها " مدرسة تعنى بضرورة التفكيك بين ثلاثة مسالك معرفية في تاريخ الفكر الانساني، وهي : المسلك القرآني، والمسلك العرفاني، والمسلك الفلسفي، وتهدف هذه المدرسة أساساً إلى فهم المعارف القرآنية فهماً خالصاً ونقياً، بعيداً عن عملية التأويل، والمزج بينها وبين الأفكار والمذاهب والنحل الأخرى، وكذلك بعيداً عن التفسير بالرأي، وعن محاولات التحميل والإسقاط كي تبقى حقائق الوحي وأسس ومنطلقات العلم الصحيح نقية ومصونة، لا تعكر صفوها معطيات الفكر الإنساني، ولا يشوبها الذوق الإنساني "[6]

وعملية التفكيك هذه ليست ترفا ولا نافلة عند التفكيكيين، بل إنهم يعتبرونها من الواجبات والوظائف المقدسة7، والتي توجب على العلماء أن يتصدوا لهذا السيل الجارف من التأويلات ومحاولات المزج والتهجين بين المنهج القرآني من جهة،والمنهج الفلسفي العرفاني من جهة أخرى، والعمل على تأصيل المعرفة القرآنية والحقائق السماوية وعلوم الوحي وتنقيتها وصيانتها من الذوبان[8] .

ومع أن الطابع المذهبي الشيعي الاثني عشري لا يبدو حاضرا بوضوح في صياغة التعريف السابق، والذي يقدم التفكيكية على أنها نظام معرفي فكري غير محصور في إطار مذهبي ضيق، لكن هذه

---

[6] – حكيمي : محمد رضا : **المدرسة التفكيكية** ص 13 .

[7] – **المصدر السابق** ص 40 .

[8] – **المصدر السابق** ص 46 .

الصياغة الدعائية يجب ألا تنسينا حقيقة شديدة الوضوح، وهي أن هذه المدرسة بأعلامها ونشأتها وكتبها وآرائها ليست سوى تابع شديد الالتزام بالأصول الكبرى، وجل المسائل والآراء التفصيلية التي انتهى إليها التشيع الاثنا عشري منذ قرون عديدة ، وقد برز هذا الأمر في صياغة المقصود بالتفكيك لدى واحد من رجال هذه المدرسة المعاصرين وهو جعفر سيدان الذي أبان عن الطابع العقائدي الشيعي لتلك المدرسة فقال " إن جل فقهاء مذهب الإمامية يعتقدون بضرورة التفريق، والقول بالاستقلال، واستغناء المعارف الوحيانية وحفظها عن الأفكار الدخيلة البشريّة من الفلسفة والعرفان. وهذا هو سبب تسمية هذه الرؤية بنظرية التفكيك، إن هذه المدرسة ليست مدرسة جديدة، حيث إنها تحتوي على واقعيّة تاريخية تأخذ نشأتها من صدر الإسلام، بل تستند إلى نفس بعثة النبي الأكرم صلى الله عليه وسلم، وهي مبنى عموم الفقهاء والعلماء الإماميين"[9]

ولدى المستشرق الانجليزي روبرت غليف (Robert Gleave)[10] المهتم بدراسة الأخبارية والتفكيكية نجد تعريفا لهذه المدرسة من خلال التركيز على أهم مبادئها وأفكارها، حيث ذكر أن " العقيدة الرئيسة للمدرسة هي أن هنالك تمايزاً بين صنف المفاهيم والتصورات البشرية من جهة؛ وبين المعرفة الإلهية الخالصة من جهة أخرى. ويعنون بهذا أن المفاهيم المستنبطة من الصنف الأول لا يمكن استخدامها لصياغة أو تفسير القناعات والأفكار المتضمنة في الصنف الثاني. ففي الصنف الأول يمكن للشخص أن يجد حقائق وتأملات فلسفية أو عرفانية؛ لكنه في الصنف الثاني يجد الوحي، إذ إن الطرق الثلاثة للوصول إلى المعرفة (الفلسفة؛ العرفان: الوحي) شديدة التمايز (مفككة)؛ وأي محاولة للدمج بينها، أو للوصول لمعادلة بين التصورات الفلسفية والعرفانية للمفاهيم الدينية الأساسية (كوحدانية الله أو طبيعة النبوة) فهي جذريا مضللة "[11]

وبالفعل فإن قضية المعرفة وطرق تحصيلها، والتمييز بين تلك الطرق، تعتبر منطلقا رئيسا لأفكار المدرسة التفكيكية، حيث ترى أن هناك ثلاث طرق أساسية لتحصيل المعرفة وإدراك الحقيقة وهي –

---

[9] – **سيدان، جعفر: خراسان ومدرسة المعارف الإلهية ص 11** .

[10] – أكاديمي بريطاني معاصر مهتم بالفكر الشيعي وتحديداً في مجال الفقه والأصول والفكر السياسي، كما أنه محاضر في جامعة أكستر البريطانية ، ومن مؤلفاته الإسلام النصي: تاريخ وعقائد المدرسة الأخبارية الشيعية ، انظر مجلة البصائر العدد 49 ص 39 .

[11] – غليف، روبرت : **الاستمرارية والإبداع في الفكر الشيعي العلاقة بين الأخبارية والمدرسة التفكيكية**، مجلة البصائر العدد 49 ص 44.

المسلك القرآني، والعرفاني، والفلسفي، وقد يزيد بعض الدارسين[12] المسلكين الفلسفي والعرفاني تقسيما وتفريعا، فيقسمها إلى أربعة مدارس : وهي المشائية – والكلامية – والعرفانية – والتوفيقية بفرعيها (الإشراقية، والحكمة المتعالية)[13]

أما **الأسماء التي أطلقت على هذه المدرسة الشيعية** المعاصرة، فقد اشتهرت باسم المدرسة التفكيكية، والذي اخترع هذا الاسم محمد رضا حكيمي[14]، انطلاقا من المبدأ الأبرز الذي ينادون به وهو " التفكيك " وإن كان الملاحظ أن علماء المدرسة التفكيكية الأوائل لم يكونوا يطلقون على أنفسهم هذا الاسم الذي ابتكره حكيمي، ولا " يعرفون أنفسهم على أنهم ينتمون لمدرسة ما، لكنهم أحيانا يشعرون بضرورة أن يوصفوا مواقفهم من خلال مصطلح عام؛ وهم يفضلون استخدام مسمى ذي دلالة تقليدية هو مدرسة معارف أهل البيت . العلماء الأساسيون للمدرسة (الميانجي؛ حافظي، الطهراني على سبيل المثال) يفضلون هذه التسمية، باعتبار أنها تبدو أقل انفصالا وتمكنهم من المجادلة عن التصور الذي يرونه للعقيدة الشيعية، لتكون أكثر اندماجاً مع التيار العام. إلا أن مسمى المدرسة التفكيكية بات اليوم مسمى عاما للمدرسة؛ بحيث إن المخالفين لهم والتفكيكيين أنفسهم يستخدمونه بصورة اعتيادية، وهذا تحديدا هو الوضع منذ أن نشر الحكيمي الاسم من خلال تلخيصه تاريخ المدرسة وعقيدتها "[15]

وليس اسم " التفكيكية " هو الاسم الوحيد الذي أطلق على هذه المدرسة، بل ثمة عدد آخر من الأسماء التي جرت على ألسنة من تبنوا فكرها، أو تناولوا آراءها بالدراسة أو النقد، ومنها[16] .

أ- **المدرسة العقائدية الخراسانية** [17]، نظرا لنشأتها في مدينة خراسان، وتحديدا في حوزة مشهد .

---

[12] – انظر الحيدري ، كمال : **المدارس الفلسفية** ص 25، 26 .

[13] – انظر داود ، زكريا: **المدرسة التفكيكية والتأصيل للعقل الشيعي**، مجلة البصائر، عدد 35، ص 54، و الحيدري، كمال : **المدارس الفلسفية** ص 25، 26، ومجلة المحجة افتتاحية العدد 12 ص 6، 8 .

[14] – انظر حكيمي : المدرسة التفكيكية ص 145، 146، وأعرافي : على رضا : **الفلسفة بحث فقهي** ص 57

[15] – غليف، روبرت : **الاستمرارية والإبداع في الفكر الشيعي، العلاقة بين الأخبارية والمدرسة التفكيكية** ص 43، 44 .

[16] – وقد استعمل تلك الأسماء علي ملكي الميانجي – وهو نجل أحد التفكيكيين البارزين وهو محمد باقر ملكي الميانجي – في بحثه **المدرسة التفكيكية،الأسس، والبناءات، والمقولات** ضمن كتاب المدرسة التفكيكية وجدل المعرفة ص 19.

[17] – انظر المدرسة التفكيكية وجدل المعرفة ص 19 .

ب–المدرسة العقائدية لأهل البيت، ومنهج الفقهاء الإماميين، أي فقهاء الفقه الأكبر.

ج– **المدرسة المعارفية لأهل البيت في حوزة خراسان .**

ويلاحظ على تلك الأسماء الثلاثة أنها تلح على أمرين، أحدهما بيان المكان الذي خرجت منه تلك المدرسة وهو خراسان، بما يعني تميزها بموقف معرفي ومنهجي مختلف عما عليه الحال في حوزات أخرى ولا سيما حوزة قم ، والأمر الأخرى الإلحاح على أنها تمثل الصبغة الأصيلة لمدرسة أهل البيت قبل أن تختلط بشوائب منحرفة غيرت صورتها الحقيقية، وتمثلت في الاتجاهين الفلسفي والعرفاني، واللذين شن عليهما التفكيكيون حملات ضارية من النقد والتشويه، والدعوة إلى فصل منهجهما عن المنهج الحقيقي لمدرسة أهل البيت، والذي يعد في نظرهم منهج الوحي .

وإضافة لهذه الأسماء التي أطلقها التفكيكيون على أنفسهم، واعتبروها دالة على المدح والثناء ومطابقة لحال مدرستهم، ومعبرة عن حقيقة فكرها، فثمة اسم آخر أثار حفيظتهم، كما دفعهم للتأكيد على عدم صحته وهو (**المدرسة الأخبارية الجديدة**) وقد أطلق خصوم التفكيكية هذا الاسم عليها، لأنهم صنفوها اتجاها مناهضا للعقل أو الفلسفة كما هو شأن الأخباريين[18] كما اعتبروها تميل إلى المحافظة في التعامل مع الفقه وأصوله، والإلهيات الفلسفية المؤسسة على المقدمات الشائعة في التراث العقلي اليوناني، وتحاول أن تستعيض عنها بما تستقيه من مفاهيم ومقدمات (عقلية أو روائية) مأخوذة من المدونات الحديثية الشيعية[19]

والذي يظهر لي أن التفكيكية ليست نسخة مكررة من الأخبارية، لكنها تشترك معها في أصول فكرية عديدة، لعل من أهمها التعويل على الأخبار الواردة عن أئمة أهل البيت وفقا للتصور الشيعي، ووجوب اتباع أقوال الأئمة المعصومين عندهم، ورفض التأويل، والنقد الشديد للاتجاهات الفلسفية والعرفانية، وكذلك موقفها المنتقد أو المحايد بقدر كبير من مسألة ولاية الفقيه، لكن التفكيكية من جانب آخر

---

[18] – انظر أعرافي : على رضا : **الفلسفة بحث فقهي** ص 57 .

[19] – انظر ودن ، علي : السيستاني بين تراث النجف وحركة تشرين الإصلاحية، مقال على https://nasnews.com/view.php?cat=23966

تختلف مع الأخباريين، وتتفق أو تقترب إلى حد كبير مع الأصوليين في عدة جوانب[20] منها الموقف من العقل والاستدلال العقلي عموما والاعتداد به، والاعتداد بحجية ظواهر النصوص، والاشتغال بعلم أصول الفقه وعدم التقليل من شأنه كما يفعل الأخباريون بناء على أنه علم سني النشأة، ومنها القول بنقد المرويات وتمييز مقبولها من مردودها، ومنها الاشتغال بالجانب الفقهي وفقا للمسلك الأصولي المعتاد .

وهكذا يمكن القول بأن التفكيكية اتجاه جديد نسبيا، ويصعب على الدارس أن يعتبره أصوليا صرفا أو أخباريا خالصا، وإنما هو يأخذ من كل اتجاه بعض الأصول المنهجية ويوظفها لخدمة الغرض الأساسي الذي قام من أجله، وهو الفصل والتمييز بين أنواع المعارف، وإن كان أقرب للأخباريين منه للأصوليين، ويشهد لذلك أن التفكيكية " ضمت تحت لوائها تيارات شتى؛ قد تكون متناقضة في عناصر كثيرة، لكنها اتفقت على تفكيك النص الديني من أي شوائب وعناصر دخيلة عليه؛ وتقاطعت جميعها في رفض الاستدلال الفلسفي الذي رسخه الملا صدرا في مدرسة «الحكمة المتعالية» وأحياه الخميني والطباطبائي، ثم تمأسس في مفاصل الدولة الإيرانية. ذلك لأنه يتيح لها قدرا كبيرا من المرونة، والمراوغة الجدلية في توظيف النص الديني، وتكييفه براغماتيا في السلوك السياسي والقرار الدولي، ويعطي صانع القرار الفقيه مخارج شرعية، وتبريرات أخلاقية لما يقدم عليه من أفعال"21

نشأة المدرسة التفكيكية

تعد المدرسة التفكيكية الشيعية اتجاها حديث النشأة ظهر في القرن الرابع عشر الهجري – العشرين الميلادي – على يد مجموعة من الشخصيات أبرزهم : الميرزا محمد مهدي الأصفهاني، وموسى الزرآبادي، ومجتبى القزويني وغيرهم، ثم تتالت أجيال التفكيكيين حتى وصلت إلى عصرنا الحاضر، حيث يتزعم حركتهم اليوم محمد رضا الحكيمي[22] .

---

[20]– انظر **الأصفهاني رائد التفكيك في المعرفة الدينية** ص 83، 192، **والمدرسة التفكيكية وجدل المعرفة** ص 57، و داود : **المدرسة التفكيكية والتأصيل للعقل الشيعي**، مجلة البصائر **عدد 35 ص 86**، والصياد ، محمد : **الأخباريون والسياسة في إيران** ص 23، **وفقه الانتظار** ص 40، 85 .

[21] – الصياد ، محمد: **فقه الانتظار** ص 85 .

[22] – **انظر حب الله**، حيدر : **المدرسة التفكيكية وسؤال المنهج**، ضمن المدرسة التفكيكية وجدل المعرفة ص **11**، و زكريا داود : **المدرسة التفكيكية والتأصيل للعقل الشيعي**، مجلة البصائر **عدد** 35 ص 57 .

ومع أن انطلاقة الحركة الجديدة للتفكيكيين كانت من غرب إيران ووسطها، لكن رحيل محمد مهدي الأصفهاني إلى بلاد خراسان ـ حيث مرقد أحد أئمة الشيعة الاثني عشر وهو علي الرضا ـ قد حول مركز التفكيك إلى ناحية الشرق، وتعتبر مدينة مشهد اليوم عاصمة الاتجاه التفكيكي، ومركز إشعاعه الأول، حيث ترك التفكيكيون بصماتهم على حوزاتها العلمية، ومعاهدها الدينية[23]، وإن كان ذلك لا يعني انحصار وجودها في مشهد أو إيران وحدها، بل وجد لها امتدادات في بلاد أخرى وقد ذكر بعض الدارسين الشيعة نماذج لذلك من أمثال محمد حسين فضل الله، ومحمد مهدي شمس الدين، وعبد الأعلى السبزواري، وعبدالهادي الفضلي، والسيد هاشم معروف الحسني [24].

ويرجع تغلغل التفكيكية في مشهد لمجموعة عوامل، لعل أهمها استيطان مجموعة من رموز التفكيكية وتدريسهم بحوزتها، فالميرزا الأصفهاني رحل لمشهد، واستقر بها من عام (1340 إلى 1365هـ) وقد انشغل طيلة تلك المدة بنشاطات عدة[25]، وممن قضى فترة طويلة بمشهد أيضا : هاشم القزويني والذي مكث فيها ما بين عام 1928م وحتى عام وفاته 1966م، أي ما يقارب أربعين عاما، اشتغل فيها بالتدريس وكان له جهد كبير في نشر فكر التفكيكية، وكما يقول المستشرق غليف " لربما يرجع الفضل للنشاط الفكري الذي قام به القزويني في جعل مدينة مشهد موطنا للمدرسة التفكيكية منذ وفاته، ومدرسة مشهد مليئة بعدد من علماء المدرسة التفكيكية، كأبي الحسن حافظيان، وجواد آغا الطهراني، وآية الله حسن مرواريد، وفي الآونة الأخيرة آية الله محمد باقر ملكي ميانجي "[26]

ولا شك أن نشأة المدرسة التفكيكية وازدهارها بمدينة مشهد له ارتباط وثيق بالتطورات التي حدثت للفكر الشيعي في القرون المتأخرة، على مستوى المنهج والآراء، ولا سيما انتصار الأصوليين على الأخباريين من جهة، وشيوع الاتجاهات الفلسفية والعرفانية من جهة أخرى، فبعد انتصار الاتجاه الأصولي وخفوت صوت الاتجاه الأخباري ترسخت بدرجة كبيرة النزعة العقلية الناقدة للأخبار، والمعلية من شأن الاجتهاد وعلم أصول الفقه، ومازجها اهتمام واضح بالعلوم الكلامية والفلسفية، وفي أحيان كثيرة العلوم العرفانية، حتى صارت تلك العلوم مكونا أساسيا في المناهج الدراسية المعتادة في الحوزات العلمية في العراق وإيران.

---

[23] – **حب الله**، حيدر : **المدرسة التفكيكية وسؤال المنهج**، ضمن المدرسة التفكيكية وجدل المعرفة ص 11 .

[24] – المصدر السابق ص 16 .

[25] – حكيمي : **رجال المدرسة التفكيكية**، ضمن المدرسة التفكيكية وجدل المعرفة ص 339 .

[26] – غليف، روبرت : **الاستمرارية والإبداع في الفكر الشيعي**، مجلة البصائر عدد 49 ص 43 .

وهكذا يمكن القول بأن نشأة التفكيكية ارتبطت ارتباطا وثيقا بمقاومة التيار الفلسفي العرفاني، وكانت بمثابة رد فعل على الانتشار الكبير لهذا التيار في الفكر الشيعي منذ أن نشط وأعيد إحياؤه على يد الفيلسوف الشهير صدر الدين الشيرازي (ت 1050هـ/1640م) المعروف بالملا صدرا، أو صدر المتألهين، وكتابه المعروف (الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة)

أبرز شخصيات المدرسة التفكيكية

ثمة شخصيات عديدة تبنت الاتجاه التفكيكي منذ ظهوره على يد الميرزا الأصفهاني، وحتى يومنا هذا، وهذه الشخصيات يمكن تقسيمها إلى قسمين :

القسم الأول : من صرحوا بتبنيهم لهذا الاتجاه بصورة واضحة، وتضمنت مصنفاتهم دعما وتأييدا له، أو موافقة في المنهج والآراء المميزة له، والتي يباين بها الاتجاهات الشيعية الأخرى البارزة على ساحة المذهب الاثني عشري .

والقسم الثاني : من لا نجد لهم كلاما صريحا، إنما مواقف وآراء تقترب بهم من الاتجاه التفكيكي، أو نقد شديد للمناهج المخالفة له داخل التشيع الاثني عشري، لا سيما في مسائل محورية مثل الموقف من الفلسفة والعرفان، ويلتحق بهذا القسم الثاني شخصيات شيعية بارزة ذات تأثير كبير في المذهب، إما من جهة مكانتهم الدينية، أو مناصبهم السياسية، وقد نسب بعض الدارسين تلك الشخصيات للتفكيكية نظرا لتتلمذهم على بعض رجالاتها، أو لعدد من المواقف المنسوبة لهم، وقد تكون تلك النسبة من قبيل محاولة تلميع التفكيكية، وإظهار الانتشار والقبول الواسع الذي نالته، حتى وصل الحال إلى تبني هؤلاء المشاهير لها، ولا يخفى أن ظاهرة التضارب في نسبة الشخصيات لمدرسة ما ليست بجديدة على الفكر الشيعي، وكثيرا ما حاولت الاتجاهات المختلفة أن تنسب إليها أسماء مرموقة، كي يروجوا لمدرستهم، ويبينوا للعامة أن أعلاما مرموقين يعتنقون فكرها، مما يثبت صحته، ويجذب عوام الناس إليه.

ومن أشهر رجال التفكيكية والمتبنين صراحة لفكرها : –

الميرزا مهدي الغروي الأصفهاني (ت 1365 هـ)[27]: وهو مؤسس هذه المدرسة وصاحب التأثير العقائدي الأكبر في الحوزة العلمية في مشهد، حيث كان تلميذاً بارزاً عند الميرزا النائيني[28]، كما خلف مجموعة كبيرة من التلاميذ الذي بلغوا مكانة مرموقة في المشهد الحوزوي، ونظرا لطول الفترة التي درس فيها الأصفهاني بمشهد، والتي استمرت طيلة خمس وعشرين سنة فقد تتلمذ على يديه عدد كبير من علماء الشيعة، ومن هؤلاء من تبعوه في تبني الفكر التفكيكي، ومنهم من أخذ عنه دون أن يتبنى آراء بالكامل، ومن أشهر تلك الشخصيات التي تتلمذت للأصفهاني : حسين الحائري، ومجتبى القزويني، والشاهرودي، وجواد الطهراني، ومحمود الحلبي ، وحسن مروارید، ومحمد باقر ملكي الميانجي، والمرجع الشيعي الأبرز حاليا في العراق علي السيستاني، وغيرهم[29] .

وأما مصنفات الأصفهاني فهي كثيرة حيث شملت " الفقه والأصول والمعارف وأصول الأصول "[30] وهذه الكتب منها ما لم يطبع أصلا، أو طبع طبعة سيئة 31، ومن أبرز تلك الكتب[32] : أبواب الهدى، وغاية المنى، ومعراج القرب واللقاء، والصوارم العقلية في رد الشيخية، والمواهب السنية في الاجتهاد والتقليد، ورسالة في الجبر والتفويض، وإبطال معارف اليونان، وكتاب القضاء والقدر، ومعرفة العوالم.

موسى الزرآبادي القزويني (ت 1353هـ)[33] : وهو من أركان المدرسة التفكيكية،وأحد مؤسسيها الثلاثة الكبار، كما أنه كان أستاذا لمجتبى القزويني، وقد جمع الزرآبادي بين العلوم النقلية الشيعية، والتعمق في دراسة الفلسفة، ومن كتبه في هذا الحقل : حاشيته على منظومة السبزواري، وشرحه لـ

---

[27] – انظر في الكلام عن ترجمته :– الشاهرودي ،علي النمازي: **مستدرك سفينة البحار** ج 10 ص 517 – 520، و الأصفهاني **رائد التفكيك في المعرفة الدينية** ص 53، و غليف، روبرت : **الاستمرارية والإبداع في الفكر الشيعي** ص 43، 44 .

[28] – انظر الشاهرودي ،علي النمازي:: **مستدرك سفينة البحار** ج 10 ص 517، وسبحاني، محمد تقي : **مدخل إلى الفكر الاجتماعي الديني المعاصر في إيران**، القسم الثاني، مجلة نصوص معاصرة العدد 20، عام 1431هـ، ص 223 .

[29] – وقد ذكر محمد رضا حكيمي قائمة بأسماء تلاميذ الأصفهاني، انظر بحثه : **رجال المدرسة التفكيكية، رصد أبرز الشخصيات التفكيكية في القرن الرابع عشر الهجري**، ضمن المدرسة التفكيكية وجدل المعرفة ص 344، وانظر أيضا ميرزا مهدي الأصفهاني **رائد التفكيك في المعرفة الدينية** ص 67، 68 .

[30] – الشاهرودي ،علي النمازي:: **مستدرك سفينة البحار** 10 / 520 .

[31] – حكيمي، محمد رضا : **رجال المدرسة التفككيكية**، ضمن المدرسة التفكيكية وجدل المعرفة الدينية ص 346.

[32] – انظر الأصفهاني رائد **التفكيك في المعرفة الدينية** ص 78 – 80 .

[33] انظر في ترجمته :– الري شهري، محمد : **موسوعة الإمام الحسين في الكتاب والسنة والتاريخ** ج 5 ص 71 .

(سلامان وأبسال) لابن سينا[34]،ومن كتبه الأخرى[35] تقريرات الفقه والأصول، و حاشية على كفاية الأصول، وحاشية على شرح الإشارات قسم الإلهيات، وحاشية على منطق الإشارات. ورسالة الاعتقادات باللغة العربية .

مجتبى القزويني الخراساني (ت 1386هـ)[36] : ويعتبر القزويني الرجل الثالث الأكثر حضورا في المدرسة التفكيكية، وقد اشتغل بتفسير القرآن وله تأثير قوي على التفكيكيين المعاصرين، حيث ظل أربعين عاماً يدرس العلوم النقلية والعقلية في مدينة مشهد، مربياً فريقاً من التلامذة البارزين[37]، حتى مال البعض إلى أن نشاطه الفكري كان السبب في جعل مدينة مشهد موطنا للمدرسة التفكيكية[38]، وللقزويني عدد من المؤلفات : أبرزها تفسيره بيان الفرقان في خمسة مجلدات، وقد استوعب الكتاب مجمل الأصول العقائدية الدينية [39]، كما تضمن الكثير من آراء التفكيكية [40] .

علي النمازي الشاهرودي (ت1405 هـ/1985 م)،[41]: وللشاهرودي كتب كثيرة، من أبرزها في علم الحديث : مستدرك سفينة البحار، ومستدركات علم رجال الحديث، كما أن له كتبا في العقيدة، مثل رسالة علم غيب الإمام، ورسالة التفويض، وكتاب أصول الدين، ورسالة إثبات الولاية، والقرآن والعترة في الإسلام، وتاريخ الفلسفة والتصوف، وفي هذا الكتاب الأخير يتجلى بوضوح موقف التفكيكية من الفلسفة والتصوف .

---

[34] – انظر إسلامي، حسن : **المدرسة التفكيكية قراءة نقدية في البناءات النظرية**، بحث بمجلة نصوص معاصرة العدد 3، ص 44 .

[35] – انظر الأمين : **مستدركات أعيان الشيعة** ٣ / ٢٦٢، وحكيمي : **رجال المدرسة التفككيكية**، مجلة نصوص معاصرة العدد 2، ص 70 .

[36] – انظر في ترجمته :– الشاهرودي : **مستدرك سفينة البحار ج 5 ص 368**، **والطهراني** : **الذريعة** إلى تصانيف الشيعة ج 26 ص 116، و الأمين : **مستدركات أعيان الشيعة** 3 / ٢٦٢، ومقدمة كتاب **توحيد الإمامية** لتلميذه محمد باقر الميانجي ص 13، وحكيمي، محمد رضا حكيمي : **رجال المدرسة التفككيكية**، مجلة نصوص معاصرة العدد 3، ص 162 .

[37] – انظر إسلامي، حسن : **المدرسة التفكيكية قراءة نقدية في البناءات النظرية**، بحث بمجلة نصوص معاصرة العدد 3، ص 44 .

[38] – غليف، روبرت: **الاستمرارية والإبداع في الفكر الشيعي** ص 43 .

[39] – انظر حكيمي، محمد رضا : **رجال المدرسة التفككيكية**، مجلة نصوص معاصرة العدد 3 ص 44 .

[40] – المصدر السابق ص 180 .

[41] – انظر في ترجمته مقدمة كتابه **تاريخ الفلسفة والتصوف** ص 15، و داود : **المدرسة التفكيكية والتأصيل للعقل الشيعي**، مجلة البصائر عدد 35 ص 58، وويكي شيعة، قائمة مؤلفات علي نمازي الشاهرودي – (wikishia.net)

جواد أغا الطهراني (ت 1410 هـ/1907 – 1989 م :[42]وللطهراني جهد كبير في الدفاع عن مدرسة التفكيك، كما أسهم في نقد مدرسة العرفان من خلال كتابه:عارف وصوفي چه مي كويند؟ أي (العارف والصوفي ماذا يقولان؟) وقد قدم فيه نقدا شديدا لمنهج العرفان وما مثله هذا المنهج من امتداد للفكر الفلسفي، كما ركز نقده على الفكر الفلسفي من خلال كتابه الآخر (ميزان المطالب) الذي خصصه للبرهنة على أصول الدين من خلال استدعاء النص الديني، وتبيان أغلاط الفلاسفة في مباحث التوحيد والنبوة والإمامة والمعاد[43].

جعفر سيدان[44] : ويعد جعفر سيدان من الشخصيات الشيعية البارزة التي تبنت فكر المدرسة التفكيكية، وهو يعمل أستاذا بالحوزة العلمية في خراسان، كما أنه صهر المرجع الشيعي المعروف السيستاني وأحد وكلائه، وله نشاط واضح في تأليف الكتب التي تبرز الاتجاه التفكيكي، وتدافع عنه، وترد على أصحاب الاتجاه الفلسفي، ومن ذلك[45] كتابه السنخية أم الاتحاد، والعينية أم التباين، دروس عقائدية، وكتاب ميزان المعرفة الدينية، وكتاب آيات العقائد، وكتاب الفوائد النبوية، وكتاب التحقيق في منهجية تفسير القرآن بالقرآن في الميزان .

محمد رضا حكيمي : ويمكن القول بأننا إذا ما تخطينا مؤسسي المدرسة أو جيلها الأول، وبلغنا الجيل الثاني، فسوف نجد أبرز ممثل للتفكيكية، بل واضع اسمها الجديد، هو محمد رضا الحكيمي، فقد كان واحداً من طلاب حوزة مشهد العلمية، وتلميذاً مباشراً لمجتبى القزويني، حيث أخذ أصول المدرسة ومبادئها منه، ونذر قلمه للتعريف بالمدرسة التفكيكية وترويجها، وخلافاً لمؤسسي المدرسة ممن لا تشاهد مؤلفاتهم في سوق الكتاب والنشر، فقد كان حكيمي مهتما اهتماما بالغاً بنشر مصنفاته منذ سنوات عديدة، فقد كان يشرف على طباعتها، ولهذا نجد عددا كبيرا منها منشوراً في الأسواق[46].

وهكذا صار اسم المدرسة التفكيكية اليوم مرتبطا باسم حكيمي، حيث نذر نفسه ووقفها للدفاع عن

---

[42] – انظر في ترجمته حكيمي، محمد رضا: **رجال المدرسة التفككيكية** ضمن المدرسة التفكيكية وجدل المعرفة الدينية ص 381– 383.

[43] – انظر داود : **المدرسة التفكيكية والتأصيل للعقل الشيعي**، مجلة البصائر عدد 35 ص 58 .

[44] – انظر ترجمة له في مقدمة كتاب : **خراسان ومدرسة المعارف الإلهية** ص 9، 10 .

[45] – انظر عددا من كتبه على شبكة الفكر http://alfeker.net/

[46]– انظر إسلامي، حسن: **المدرسة التفكيكية، قراءة نقديّة في البناءات النظرية**، ضمن مجلة نصوص معاصرة العدد 3 ص 45، **والمدرسة التفكيكية وجدل المعرفة الدينية** ص 130، **وقراءات معاصرة في النص القرآني** ص 163

هذه المدرسة وشرح تصوّراتها وأفكارها، والمنافحة عن تعاليمها ومبادئها، وقد كانت المرة الأولى التي كتب فيها حكيمي مقالاً يحمل اسم: المدرسة التفكيكية، قد جاءت في شهرية: كيهان فرهنكي (العالم الثقافي)، حيث سرد فيه أهم مبادئ المدرسة وأصولها، وقد طبعت هذه المقالة فيما بعد مع شرح وتفصيل أكثر في مجموعة (التاريخ والثقافة المعاصرة) على يد هادي خسروشاهي، ثم طبعت في نهاية المطاف ضمن كتاب حمل عنوان: مكتب تفكيك (المدرسة التفكيكية)، في سلسلة مؤلّفات حكيمي نفسه [47].

ويعد حكيمي من المكثرين في التأليف، وقد بلغت مصنفاته حوالي ثلاثين مصنّفاً أكثرها بالفارسية[48]، وأهم ما ترجم له إلى العربية كتاب " المدرسة التفكيكية "والذي عرض فيه لمفهوم المدرسة التفكيكيية وأصولها، وكتاب الاجتهاد التحقيقي، وكتاب الحياة بالاشتراك مع أخويه محمد وعلي ويقع في ستة أجزاء، وكتاب القسط والعدل بالاشتراك أيضا مع أخويه.

بعض الشخصيات الشيعية الشهيرة المختلف في نسبتهم للتفكيكية . أما الشخصيات الأخرى الشهيرة التي نسبت للتفكيكية، بناء على تتلمذها للميرزا الأصفهاني أو أقرانه، فعددهم ليس بالقليل، كما أن لهم وزنا وتأثيرا كبيرين في الواقع الشيعي المعاصر، ويأتي في مقدمتهم علي خامنئ المرشد الأعلى لإيران، والمرجع المعروف علي السيستاني، والشيرازي وغيرهم، وقد أدرجهم الباحث الشيعي زكريا داود في عداد المدرسة التفكيكية، واعتبر ذلك دليلا على عمق تأثيرها في تكوين العقل الشيعي المعاصر بما خرجته من فقهاء أسهموا بشكل كبير في إعادة توجيه الفكر الديني داخل الحوزة العلمية التي تعتبر المؤثر الأول والأكبر في تشكيل الوعي والفكر الشيعي، بما يعني أن التفكيكية تعتبر " أقوى المدارس الفكرية والمعرفية داخل الحوزة العلمية، وأحد الدلائل لذلك هو وصول روادها وحملة فكرها لأعلى مراتب التوجيه داخل الحوزة "[49]

وفي رأيي أن عد علي خامنئي ضمن التفكيكية غير دقيق بحال، فصلة الرجل بالخميني وتياره صلة وثيقة، ويكفي أنه خلفه في منصب المرشد الأعلى، وتبنى مبدأ ولاية الفقيه بكل قوة خلافا لما عليه حال

---

[47] – انظر إسلامي، حسن:**المدرسة التفكيكية، قراءة نقديّة في البناءات النظرية**،ضمن المدرسة التفكيكية وجدل المعرفة الدينية ص 130

[48] – انظر حكيمي : **المدرسة التفكيكية** ص 182، 183، وإسلامي، حسن: **المدرسة التفكيكية، قراءة نقديّة في البناءات النظرية** ص 130 .

[49] – داود : **المدرسة التفكيكية والتأصيل للعقل الشيعي**، مجلة البصائر عدد 35 ص 59 .

المدرسة الأخبارية الرافضة لها، وخلافا للتفكيكية التي لم تسرف في الترويج لها أو تبنيها، بل فهم من بعض أدبياتها ومواقف رجالها معارضة تلك الفكرة .

أما السيستاني فصحيح أنه تتلمذ على مؤسس التفكيكية الميرزا الأصفهاني، وعلى أحد روادها الكبار وهو مجتبى القزويني، ومن الطبيعي أن يكون قد تأثر بهما في بعض الجوانب، لكنه تتلمذ أيضا على شخصيات أصولية بارزة، ودرس علوم الفلسفة والعرفان، مما يجعل منهجه مزيجا من تلك المدارس ويصعب إدراجه ضمن التفكيكية، ويشهد لذلك ما جاء في ترجمته المعتمدة على موقعه الرسمي من أن منهجه قائم على " المقارنة بين المدارس المختلفة .إن المعروف عن الكثير من الأساتذة حصر البحث في مدرسة معينة أو اتجاه خاص، ولكن السيد السيستاني يقارن بحثه بين فكر مدرسة مشهد، وفكر مدرسة قم، وفكر مدرسة النجف الأشرف، فهو يطرح آراء الميرزا مهدي الأصفهاني من علماء مشهد، وآراء السيد البروجردي كتعبير عن فكر مدرسة قم، وآراء المحققين الثلاثة (الشيخ النائيني والشيخ العراقي والشيخ الأصفهاني) والسيد الخوئي، والشيخ حسين الحلي، كمثال لمدرسة النجف الأشرف. وتعدّد الاتجاهات هذه يوسع أمامنا زوايا البحث والرؤيا الواضحة لواقع المطلب العلمي "[50]

ويبقى الشيرازيون – وعلى رأسهم **محمد الحسيني الشيرازي، وصادق الشيرازي، وقد اعتبرهم البعض من أبرز أنصار المدرسة التفكيكية** [51]، والمطالع لآراء الشيرازي يجده قريبا جدا من آراء الأصوليين في مسائل كثيرة، مثل الاجتهاد، والعمل بالظن، وحجية الإجماع، والموقف من ثبوت القرآن، وإن كان يقترب أحيانا في قبوله للروايات، والموقف من ولاية الفقيه من المسلك الأخباري، وقد ثار نزاع طويل الذيل بين الشيرازيين وبين الخميني ومدرسته في ولاية الفقيه وغيرها من المسائل، وتطور الأمر إلى عداء سياسي وملاحقات وما أشبه ذلك[52] .

ومن الشخصيات الشيعية الشيرازية ذات الحضور الإعلامي الكثيف والخطاب المتطرف، والمتجاوز لكل حد : الشيعي الكويتي الأصل والمقيم بلندن : ياسر الحبيب [53]، **وهو معدود على الاتجاه الشيرازي**

---

[50] – انظر موقع علي السيستاني https://www.sistani.org/arabic/data/1/

[51] – انظر زداود : **المدرسة التفكيكية والتأصيل للعقل الشيعي**، مجلة البصائر عدد 35 ص 59 .

[52] – انظر تفصيلا لذلك كله في كتاب الكاتب ، أحمد: **المرجعية الدينية الشيعية وآفاق التطور الشيرازي نموذجا** ص 106، ود. الغامدي ، عادل : **الشيرازية الإمامية عرضا ونقدا** ص 387، 638، و الصياد ، محمد : **فقه الانتظار** ص 49 .

[53] – ويكفي في التدليل على تطرف فكر هذا الرجل مراجعة كتابه الضخم، والمنحط عنوانا ومضمونا " الفاحشة الوجه الآخر لعائشة " والذي حشاه زورا وبهتانا، تجاه أمنا الطاهرة المطهرة، والمبرأة من فوق سبع سماوات، الصديقة بنت الصديق، عائشة رضي الله عنها وأرضاها.

وقد صرح بأن منهجه ومسلكه منسجم مع الخط العام للمرجعية الشيرازية، وأنه من المقلدين لها54، ويهمنا ما جاء في موقعه الرسمي من التبني الصريح للمنهج التفكيكي، حيث قال مكتبه في لندن " الشيخ الحبيب ينتمي للمدرسة التفكيكية، وسماحته من أشد المناوئين والمعادين لخط الفلسفة والعرفان الباطل وأقطابهما55".

المبحث الثاني : مفهوم العرفان عند الشيعة وعلاقته بالتصوف والفلسفة الإشراقية .

ثمة تعريفات كثيرة قدمت للعرفان من قبل الشيعة المعاصرين، وقد تفاوتت فيما بينها بحسب الجانب الذي اهتمت بإبرازه، فمنها ما تناول العرفان باعتباره منهجا معرفيا، ومنها ما ركز على نوعية المعرفة التي يحصلها، ومنها ما انشغل بالموضوعات والمسائل التي يقوم بدراستها .

فهناك من عرفه من حيث كونه منهجا للوصول إلى معرفة حقائق الأشياء بالنظر والعمل[56]، وهناك من عرفه بحسب طبيعته فرأى أنه " المعرفة الحاصلة عن طريق المشاهدة القلبية، لا بوساطة العقل، ولا بفضل التجربة الحسية "[57] وتلح بعض التعريفات على الجانب الغائي في العرفان والمقترن بفكرة الإشراق، ومن ثم يعرف بأنه " توجه نحو الحق سبحانه لاستمداد إشراق النور الإلهي في سر السالك "[58] أما العرفان ذو المنحى الفلسفي فيقصد به " البحث في الوجود؛ بقصد معرفة كيفية وجوده؛ وماهي العلاقة بين واجب الوجود وممكن الوجود؛ عن طريق الرياضات الروحية "[59]

ويفهم من تلك التعريفات المختلفة أن العرفان منهج قائم على المعرفة الكشفية، يريد تحقيق المعرفة القلبية المباشرة بالحقائق الكبرى المتعلقة بالله سبحانه والعالم والمبدأ والمصير، وغايته النهائية هي الوصول إلى الحقيقة الوجودية الأصيلة الواحدة، أي فكرة وحدة الوجود، وأن التعددية ما هي إلا مظاهر،

---

54 – انظر http://al-qatrah.net/an2070

55 – انظر موقع http://al-qatrah.net/an1866

56 – مهدي ، يونس : **ما هو العرفان** ص 23 .

57 – اليزدي، محمد تقي مصباح : **محاضرات في الأيديولوجيا المقارنة** ص 20، **ومبادئ علم العرفان** ص 14 .

58 – زكريا ، علي حمزة: **العرفان والتصوف** ص 19 .

59 – د. الفيفي ، عبد الله: **التشيع الفلسفي عند الشيعة** ص 72 .

ومن الواضح أن العرفان كما تعبر عنه كتابات الشيعة والمعتمدة بصورة أساسية على فكر ابن عربي وتلامذته ثم فكر الملا صدرا، يؤول في نهاية الأمر إلى القول بوحدة الوجود، وانتفاء الثنائية الوجودية، وقد اعترف بعض الشيعة المعاصرين بتلك الحقيقة التي تمثل المحور الذي يدور العرفان حوله ويسعى إلى تحقيقه[60] .

وينقسم العرفان إلى قسمين رئيسين، وهما العرفان النظري والعرفان العملي[61] : فأما العرفان النظري فيدور حول الجانب المعرفي، أي العلم بالله سبحانه، وبالمبدأ والمعاد، وحقائق الوجود جميعها من حيث رجوع تلك الحقائق إلى الله تعالى، ومحاولة تقديم تفسير كامل للوجود ونظامه وتجلياته ومراتبه، وأما العرفان العملي، ويطلق عليه أحيانا علم السير والسلوك، فيدور حول بيان المنازل والمقامات التي يجب أن يسلكها العارف للوصول إلى الله تعالى، وفي هذا الجانب يتم بيان الخطوات التي يجب على السلوك أن يخطوها للوصول إلى التوحيد (أي وحدة الوجود !!) والمنازل والمراحل التي يجتازها، والحالات والعوائق التي تعرض له[62]، ولا تخرج الكتب التي اعتيد تدريسها في الحوزة عن هذا التوجه، حيث يدور محور التدريس في العرفان النظري على ثلاثة كتب، وهي تمهيد القواعد لصائن الدين تركة[63]، وشرح فصوص الحكم للقيصري، ومصباح الأنس لمحمد بن حمزة الفناري[64] .

ومن القضايا المهمة التي تحتاج لبيان وإيضاح : تحرير العلاقة بين مصطلحي التصوف والعرفان، حيث يكثر في الأوساط الشيعية استعمال مفهوم العرفان بديلا عن مفهوم آخر أكثر شيوعا في الأوساط غير الشيعية، وهو التصوف، وقد ثار خلاف حول طبيعة العلاقة بين هذين المصطلحين وهل هما مترادفان، أم بينهما فروق من حيث العموم والخصوص وما أشبه ذلك .

---

[60] – انظر زادة، محمد صدر : **الفلسفة والعرفان في ضوء الإسلام** ص 7،و يزدان: **العرفان النظري مبادئه وأصوله** ص 15، 16.

[61] – انظر في التعريف التفصيلي بهما :– مطهري : **الكلام والعرفان** ص 59 .60، والحيدري : **مدخل إلى مناهج المعرفة عند الإسلاميين** ص 223، **والمدارس الفلسفية** ص 53، و شقير : **فلسفة العرفان** ص 11، 16، وسرور ، إبراهيم : **مدرسة العرفاء** ص 10، **وما هو العرفان** ص .40.

[62] – مطهري : **الكلام والعرفان** ص 60 .

[63] – ونظرا لأهمية هذا الكتاب فقد أصبح الكتاب الرسمي في حلقات الدرس بالحوزات الشيعية، وتناوب على تدريسه الكثير من مراجعهم، كما أن له شروحا كثيرة مكتوبة، وممن شرحه من المعاصرين كمال الحيدري، انظر شرح تمهيد القواعد في علم العرفان النظري، مؤسسة الإمام الجواد للفكر والثقافة، 1436 هـ – 2014 م .

[64] – انظر الحيدري : **شرح تمهيد القواعد** ص 13، ويد الله يزدان : **العرفان النظري مبادئه وأصوله** ص 15، 16 .

فهناك من فرق بينهما من حيث وظيفة أصحاب كل مسلك ووصفهم مجتمعيا، ومن هؤلاء مرتضى مطهري الذي يرى أن مشايخ العرفان بوصفهم طبقة علمية وسموا بالعرفاء، وبوصفهم شريحة اجتماعية وسموا بالمتصوفة [65]، وهناك من ذهب إلى منحى آخر في التفرقة، حيث اعتبر أن العرفان "غاية للمتصوف ودرجة عليا في سلم سلوكه، وبينهما نسبة العموم والخصوص مطلقا، فكل عارف متصوف وليس كل متصوف عارفا "[66] وثمة فريق آخر رأى أن الاسم الأقدم هو العرفان، وهو يعود إلى ما قبل الإسلام، لكن لما دخل هذا اللون من المعرفة إلى البيئة الإسلامية شاعت تسمية(التصوف) وأصبحت تطلق حصرا على الطرق الصوفية ذات المذاهب السنية، بينما بقيت تسمية(العرفانية) تستخدم لدى الشيعة[67] .

وهناك من الدارسين من فرق بين العرفان والتصوف بأن التصوف " منهج وطريقة زاهدة مبنية على أساس الشرع، والإعراض عن الدنيا من أجل الوصول إلى الحق تبارك وتعالى، والسير باتجاه الكمال، أما العرفان فهو مذهب فكري وفلسفي متعال وعميق، يسعى إلى معرفة الحق ومعرفة حقائق الأمور وأسرار العلوم "[68] ومن الفروق أيضا : أن العرفان نظرية وسلوك، والتصوف ظاهرة اجتماعية، لا تستبطن التنظير أو الرؤية، ومن ثم فإن كل عارف زاهد متصوف، ولكن ليس بالضروري أن يكون كل زاهد متصوف عارفا[69] أما المنتقدون للعرفان والمهاجمون له، فقد حرصوا على بيان أنه والتصوف يرجعان لفكرة واحدة منحرفة، وإن اختلفت مظاهرها وتجلياتها [70] .

والذي يبدو لي أن إيثار الشيعة لاستعمال مصطلح العرفان يرجع في جانب كبير منه إلى الرغبة في مخالفة خصومهم من اهل السنة — بالمفهوم الواسع — والذين ينسب إليهم جل مشايخ الصوفية الكبار، وقد نص بعض الدارسين الشيعة على هذا الملحظ وأن كثيرا من علماء المذهب لا يوافقون على المرادفة

---

[65] – انظر مطهري : **الكلام والعرفان** ص 59 .

[66] – د. جميل حليل : **رهانات الأصول بين المباني والمنهج مقاربة بين التصوف والعرفان**، ضمن التصوف أبحاث ودراسات ص 344، وانظر أيضا زكريا ، علي حمزة: **العرفان والتصوف** ص 19 .

[67] – انظر مقال الإسلام الصوفي العراقي على موقع www.mesopot.com

[68] – د. الوائلي ، عامر : **جدلية العلاقة بين التصوف والعرفان** لمجموعة من الدارسين تحرير د. عامر الوائلي ص 74 .

[69] – المصدر السابق ص 74، 75 ، وانظر الحيدري : **العرفان الشيعي** ص 69 .

[70] – زادة، محمد صدر : **الفلسفة والعرفان في ضوء الإسلام** ص 7 .

بين العرفان والتصوف لأن التصوف قد ارتبط برموز المخالفين، والعرفان هو التهذيب الشيعي له[71]، ونظرا لظهور البدع والانحرافات في الطرق الصوفية —كما يقول الشيعة — فإن العرفانيين الذين ظهروا منذ عصر ابن عربي، مروراً بصدر الدين الشيرازي وتلميذه الفيض الكاشانى، وتلميذه القاضى سعيد القمّي لم ينتسبوا إلى أي واحدة من سلاسل التصوف، واستمر الحال إلى أقطاب التصوف في العصور الأخيرة والسبب في ذلك هو أن العرفان اتَخذ طابعاً فلسفياً، وانفصلت عرى هذا الكيان الذي كان يلتقي فيه التصوف مع العرفان، وأصبحنا نجد أكثر المتخصصين في العرفان النظري في القرن العاشر لم يكونوا من أهل العرفان العملي والسير والسلوك والطريقة، وإذا كانوا من أهله فإنهم لم ينتسبوا رسميا إلى أي واحدة من سلاسل الصوفية المعروفة72 .

وبضاف لما سبق أيضا ملحظ آخر، وهو أن العرفان أقرب للأبحاث النظرية منه للتصوف السلوكي أو الطرقي، وهو متضمن لأفكار كثير من أصحاب التصوف الفلسفي، وعلى رأسهم ابن عربي، ولما كان مصطلح الفلسفة مثيرا للنفور والرفض من قبل علماء الشيعة، فإن اختيار مصطلح العرفان أخف وقعا، وأدعى لقبول ما ينطوي عليه من أفكار لا تخرج كثيرا عما قرره أصحاب التصوف الفلسفي، لا سيما الغاية النهائية من العرفان، وهي القول بحقيقة وجودية واحدة والفناء فيها .

لكن رغم كل ما تقدم من فروق دقيقة بين العرفان والتصوف والفلسفة الإشراقية، فإن هناك من الدارسين من يرى أنه لا يوجد اختلاف ذو بال، وأن التطابق بين الأمور السابقة شبه تام، سواء على مستوى المنهج المعرفي أو الأفكار الكبرى المتعلقة بالوجود وتصور طبيعة العالم[73]، وهناك أيضا من يتسامح في الاستعمال أو إطلاق الألقاب، ويبقى في نهاية المطاف أن الفكر الذي قدمه الملا صدرا — معتمدا فيه على أمثال السهروردي وابن عربي — وقد شارك الملا صدرا عدد من سابقيه ولاحقيه في المشرب من أمثال : حيدر الآملي، الكاشاني، السبزواري، الطباطبائي، الخميني، مرتضى مطهري، وغيرهم، هذا الفكر

---

71 – انظر زكريا، علي حمزة: **العرفان والتصوف** ص 19 . وإن كان ينبه أيضا إلى أن بعض علماء الشيعة لا يرى التفريق بين المصطلحين .

72 – انظر الحيدري : **العرفان الشيعي** ص 78 .

73 – انظر د. الفيفي : **التشيع الفلسفي** ص 74 .

هو الذي يمثل العرفان أو التصوف الشيعي الفلسفي [74]، وهو الذي خصه التفكيكيون بنصيب وافر من النقد .

المبحث الثالث: موقف التفكيكيين من العرفان الصوفي .

يعتبر الموقف التفكيكي الناقد للعرفان الصوفي سمة مميزة لهذه المدرسة، باينت بها الاتجاهات الأخرى المتبنية للعرفان والتي شاعت بين الاثني عشرية عبر مراحل تاريخية مختلفة، وبلغت أوجها مع ظهور صدر الدين الشيرازي ومدرسته، ثم أخذت دفعة قوية أخرى مع تبني الخميني وتلامذته للعرفان، وانشغالهم المتعمق بقضاياه وتدريس كتبه في الحوزات الشيعية لا سيما حوزة قم، وارتباط ذلك كله بمبدأ ولاية الفقيه، بل تحول العرفان إلى مكون أساسي من مكونات هذا النظام ، ومع أن مؤسس التفكيكية الميرزا الأصفهاني كان أول أمره من المتعمقين في دراسة الفلسفة والعرفان، إلا أنه مر بأزمة فكرية ونفسية كبيرة، شعر معها بالاختلاف الكبير بين مقررات هذين الفنين، وبين ما اعتبره معارف للوحي وفقا للتصور الشيعي، ومن ثم خرج بمبدئه التفكيكي الأساسي، وهو الفصل والتمييز بين كل نوع من أنواع تلك المعارف، أي معرفة الوحي من جهة، والمعرفة الفلسفية أو العرفانية من جهة أخرى .

ولعل من الضروري قبل أن نعرض لموقف التفكيكيين تفصيلا من العرفان والتصوف بصفة عامة أن نشير إلى أن موقف التشيع الاثني عشري من التصوف والصوفية يثير الكثير من التساؤلات والإشكالات نظرا لما شابه من تضارب في الرأي وتطور عبر المراحل التاريخية المختلفة.

وابتداء لا يمكن لأحد أن يشكك في وجود صلات وثيقة، وجوانب تأثير متبادلة بين التصوف والتشيع عبر المراحل المختلفة لكلا التيارين، وقد تكفلت بتفصيلها دراسات معاصرة كثيرة[75]، ويكفي أن نشير إلى أن نفرا من الشيعة جعلوا عليا رضي الله عنه هو الإمام الأول الذي ينتسب إليه علماء الصوفية وأرباب العرفان في تصفية الباطن، وكيفية السلوك إلى الله تعالى[76]، كذلك ربط بعض الدارسين بين نشأة التصوف وبين التشيع انطلاقا من أن أول من عرفوا بالتصوف واطلق عليهم لقب الصوفي كانوا من المنسوبين

---

[74] – **المصدر السابق** ص 89 .

[75] – انظر د. صبحي ، أحمد: **نظرية الإمامة لدى الشيعة الاثني عشرية** ص 461، وتيرنر: **التشيع والتحول في العصر الصفوي** ص 106.

[76] – انظر البحراني، ابن ميثم : **شرح مئة كلمة لأمير المؤمنين** ص 219

للتشيع، وهم : أبو هاشم الكوفي، وعبدك، وجابر بن حيان[77]، إضافة للتشابه الفكري الواضح في كثير من المنطلقات التي تقول بها الفرقتان مثل الولاية، والتفرقة بين الظاهر والباطن، والغلو في الصالحين، وتقديس الأضرحة والمشاهد، والموالد، وغير ذلك من الأفكار .

كذلك وجدت نزعات صوفية واضحة لدى الكثير من أعلام الاثني عشرية عبر العصور المختلفة من أمثال: الملا صدرا الشيرازي، وميثم البحراني، وحيدر الآملي، ومحمد بن علي الأحسائي،ومحمد أمين الاسترأبادي، والفيض الكاشاني، ومحمد تقي المجلسي وغيرهم، فضلا عن فرق بأكملها مثل: الشيخية، والرشتية، والكشفية .

ولم ينقطع التواصل بين التصوف والتشيع حتى عصرنا الحاضر، حيث برز بوضوح في فكر الخميني والذي تكتظ مصنفاته بنزعة صوفية واضحة[78]، وصلت إلى درجة تبنيه الاتجاه الصوفي الفلسفي الإشراقي، بما في ذلك مبدأ وحدة الوجود[79]، والذي يظهر واضحا في مواضع عدة من كتابه مصباح الهداية[80]، كذلك حاول الطباطبائي أن يثبت مشروعية العرفان في كتابه رسالة الولاية، كما فعل ذلك أيضا تلميذه مرتضى مطهري في كتابه الإسلام وإيران، في خطوة تسعى لمواجهة التيارات التي ترفض العرفان وتحاربه، مدعومة بمواقف المرجعيات الفقهية البارزة سواء في إيران أو النجف أو غيرها[81] .

ومن الأمور اللافتة أن أكثر الذين تصدروا الفكر الثوري في التشيع المعاصر مثل نواب صفوي، والكاشاني، والشيرازي، والحائري، هم غالبا من مدرسة الشيرازي صدر المتألهين في الفلسفة، ومن المتأثرين بكتابات النراقي، وابن طاووس في علم العرفانيات وفي الأخلاق.[82]

---

[77] – انظر د. الشيبي : **الصلة بين التصوف والتشيع** ج 1 ص 204، 290، وعبد الرحمن عبد الخالق : **الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة** ص 413، ود. الحمام : **العلاقة بين الصوفية والإمامية** ص 78، وانظر نقد ذلك ونفيه من وجهة نظر شيعية بحث د. جميل حليل : **رهانات الأصول بين المباني والمناهج، مقاربة بين التصوف والعرفان** ضمن التصوف أبحاث ودراسات ص 365 .

[78] – ومما يثير الاستغراب أن الخميني قد أبدى في آخر حياته ندمه وقلة ما حصله من الاشتغال بكتب التصوف الفلسفي، مع أن الخميني معدود ضمن كبار العرفانيين الشيعة المعاصرين، انظر كتابه **المظاهر الرحمانية** ص 85، و 98، 99 .

[79] – انظر فلاح بن اسماعيل : **العلاقة بين التشيع والتصوف** ص 170، ود. جابر إدريس : **مقالة التشبيه ج** 3 ص64، ود. القفاري : **أصول مذهب الشيعةج** 3 ص 1150، ود.إيمان العلواني : **مصادر التلقي وأصول الاستدلال عند الإمامية** ص 959 .

[80] – انظر الخميني : **مصباح الهداية** ص 67، 80، ود. القفاري : **أصول مذهب الشيعة ج** 3 ص 1150 .

[81] – انظر حب الله : **مسألة المنهج في التفكير الديني** ص 190 .

[82] – انظر شبر ، شبر : **ثيولوجيا التشيع** ص 241 .

وثمة تفسيرات مختلفة لشيوع المد الصوفي لدى الشيعة في عصور مختلفة، وبعض هذه الأسباب علمي وبعضها اجتماعي وبعضها نفسي، مثل يأس الشيعة عبر فترات طويلة من قيام دولة أو كيان قبل ظهر الغائب الذي طال غيابه، يحفظ عقائد التشيع من الانهيار، ويحفظ الشيعة أنفسهم من الذبح والاستئصال، إضافة لما يتيحه التصوف وطرقه من إمكانية لجمع الأتباع بصورة لا تلفت الأنظار، واستخدامهم في إقامة كيان سياسي، مثلما حدث في تأسيس الدولة الصفوية التي كانت في الأصل طريقة صوفية[83] .

ورغم ما تقدم من شواهد فقد يظن البعض أن العلاقة بين التشيع والتصوف أمر مفروغ منه لدى الاثني عشرية على وجه الخصوص، وأن تأييدهم للتصوف ومدحه قضية محل اتفاق بين علماء المذهب في جميع مراحله، لكن النظرة المدققة في تطور المذهب الاثني عشري تدل على خلاف ذلك، وتظهر أن كل ما أشرنا إليه من صلات وثيقة بين التشيع والتصوف لم يمنع طائفة كبيرة من علماء الاثني عشرية من الخوف على مذهبهم أن يصطبغ بالصبغة الصوفية، ويفقد طابعه الإمامي، ومن ثم شنوا حملات شديدة من الهجوم والنقد تجاه التصوف والمتصوفة[84] .

وليس نقد التصوف مجرد رأي لجماعة من الشيعة في رأي الحر العاملي، بل إن المبالغة عنده تصل مداها حيث يجعل ذلك محل إجماع لطائفته كلها، جاعلا هذا الاتفاق من الأدلة على ذمهم [85]، ومن الواضح أن هذا الفريق الناقم على التصوف والمنتقد له بشدة قد سعى لتأييد موقفه بكل طريق ممكن، ومن ثم وجدناه يسوق روايات كثيرة مبثوثة في بطون في كتب القوم، وتنطوي على ذم شديد جدا للصوفية، يصل لدرجة التضليل واللعن، وربما الإخراج من الملة، وينسب بعض تلك المرويات للنبي صلى الله عليه وسلم، بينما يعود بعضها الآخر لنفر من الأئمة الاثني عشر[86].

---

[83] – المصدر السابق ص 240، 241 .

[84] – انظر قائمة بأسماء كتب الشيعة المؤلفة في الرد على الصوفية في تحقيق كتاب الحر العاملي : **الاثنا عشرية في الرد على الصوفية** ص 14، و الحيدري : **العرفان الشيعي** ص 80، 81 .

[85] – العاملي : **رسالة الاثني عشرية في الرد على الصوفية** ص 13، 14 .

[86] – انظر نماذج كثيرة لتلك المرويات في كتاب العاملي : **رسالة الاثني عشرية في الرد على الصوفية** ص 17، وانظر أيضا د. جميل حليل : **رهانات الأصول بين المباني والمناهج** 368 .

ومما نسبوه للنبي صلى الله عليه وسلم – ولا يشك منصف في وضعه سندا ونكارته متنا – أنه قال " يكون في آخر الزمان قوم يلبسون الصوف في صيفهم وشتائهم، يرون أن لهم الفضل بذلك على غيرهم، أولئك يلعنهم أهل السماوات والأرض "[87] ونسبوا أيضا للنبي صلى الله عليه وسلم أنه قال " لا تقوم الساعة حتى يخرج قوم من أمتي اسمهم صوفية ليسوا مني، وإنهم يهود أمتي، وهم أضل من الكفار، وهم أهل النار"88

أما الروايات عن أئمتهم فمنها ما روي عن الصادق أنه قيل له قد ظهر في هذا الزمان قوم يقال لهم : الصوفية، فما تقول فيهم ؟ قال : إنهم أعداؤنا، فمن مال فيهم فهو منهم، ويحشر معهم "[89] وعن الرضا أنه قال " من ذكر عنده الصوفية ولم ينكرهم بلسانه وقلبه، فليس منا، ومن أنكرهم، فكأنما جاهد الكفار بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله "[90]

وإضافة لتلك المرويات السابقة، فهناك نصوص حادة جدا في الحكم على الصوفية من قبل عدد من علماء الاثني عشرية الكبار، وقد ألفوا كتبا كثيرة في هذا الباب منها[91]: رسالة " الرد على الصوفية " لأحمد بن محمد التوني البشروي، ورسالة " نفثة المصدور في رد الصوفية " وكتاب " مصارع الملحدين في رد الصوفية والمتفلسفين " للميرزا محمد بن عبد النبي النيسابوري الأخباري، كذلك رد الكاشاني على الصوفية في كتابه السفينة، وهناك شخصيات شيعية عديدة كان لهم موقف قوي وشديد الانتقاد لفكر ابن عربي ومدرسته، وللقول بوحدة الوجود أو الحلول والاتحاد، وقد وصل بهم الأمر إلى القول بتكفير القائلين بذلك تكفيرا صريحا، بل نقل الاتفاق على ذلك، ومن تلك الشخصيات : الأردبيلي، وملا طاهر القمي ومحمد باقر تقي المعروف بالمجلسي الثاني، وميرزا محمد التنكابني، وغيرهم الكثير[92] .

---

87 - العاملي : **وسائل الشيعة ج** 5 ص 35 .

88 - االعاملي : **رسالة الاثني عشرية في الرد على الصوفية** ص 17 .

89 – النوري : **مستدرك الوسائل ج** 12 ص 323 .

90 – المصدر السابق ج 12ص 323 .

91 – انظر الشاهرودي :**مستدرك سفينة البحار ج** 6 ص400 – 401، والعاملي : **رسالة الاثني عشرية في الرد على الصوفية** ص 14.

92 – انظر في عرض أقوالهم ومواقفم تفصيلا : كتاب د. محسن جهانكيري : **محي الدين ابن عربي** ص 543، وانظر أيضا عزيزة الأشول : **التناقضات العقدية في مذهب الشيعة الاثني عشرية** ص 570 .

أما مواقف رجال المدرسة الأخبارية من التصوف، فهي من الشهرة والكثرة بمكان[93]، وللمجلسي ومعه عدد من أشهر الأخباريين أمثال : القمي، والقزويني، والحر العاملي، ونعمة الله الجزائري[94] مواقف شديدة، وبالغة العنف تجاه التصوف والصوفية، رغم أن بعض كبار الأخباريين كانوا من الصوفية، مثل: الفيض الكاشاني، ومحمد بن مرتضى، والأسترابادي، لكن ذلك كله لم يمنع بعض علماء الأخبارية[95] من شن حملة شعواء على الصوفية والمتصوفة، وإطلاق أشد الأحكام والألقاب عليهم، حتى إن المجلسي أفتى عام (1106هـ- 1694م) للشاه حسين الصفوي بإجلاء الصوفية عن أصفهان العاصمة، ومنع إقامة الأذكار،وتحريم ممارسة كل تقليد يتصل بالتصوف[96].

وثمة تذبذب واضح في مواقف حوزات الشيعة من العرفان، حيث مرت بفترات مختلفة صعودا وهبوطا بحسب الشخصيات الكبرى التي تظهر في حوزة ما، ويكتب لها الذيوع والانتشار والتأثير الواسع، ومن ثم نشر الفكر الذي تعتنقه، وعلى سبيل المثال، فحينما حل حيدر الآملي النجفي العرفاني الشهير في حوزة النجف في القرن الثامن الهجري فقد تسبب في شيوع العرفان النظري بها وتقبله على نطاق واسع[97]، لكن الحال قد اختلف في العصور المتأخرة، حيث صارت حوزة النجف أكثر اهتماما بالدرس الأصولي وأبعد عن الدرس الفلسفي العرفاني، لا سيما إذا ما قورنت بحوزة قم التي خلطت بين الدرس الفلسفي والأصولي، ومثلما أشار بعض الدارسين، فإن كثيرا من مراجع النجف قد نبذوا الدرس الفلسفي وحذروا منه بخلاف حوزة قم ما بعد الخميني، كما " وجدنا هجوما شرسا على على الفلسفة والعرفان، من أمثال الشيخ محمد جواد مغنية، ومحمد تقي المدرسي وغيرهما،بل إن المرجع آية الله إسحاق الفياض –أحد الثلاثة الكبار في النجف– يرى أن " عرفان ابن عربي القادم من إيران زندقة. فالعرفان

---

[93] – انظر قوشتي ، أحمد : **الصراع بين الأخباريين والأصوليين** ص 46.

[94] – انظر االعاملي : **رسالة الاثني عشرية في الرد على الصوفية**، وآل عصفور : **معالم المدرسة العلمية** ص 486، وتيرنر : **التشيع والتحول في العصر الصفوي** ص 203، 287، ود. خنجر حمية : **العرفان الشيعي** ص 64 .

[95] – ولم يقتصر الأمر على الأخباريين، فهناك من الأصوليين من نحى نفس المنحى وانظر على سبيل المثال فتوى الگلپايگاني في كتابه **إرشاد السائل** ص 197 .

[96] – انظر د. الشيبي : **الطريقة الصفوية** ص 34، وتيرنر : **التشيع والتحول في العصر الصفوي** ص 291 .

[97] – انظر الرفاعي ، عبد الجبار : **تطور الدرس الفلسفي في الحوزة العلمية** ص 89، 95، 100 .

الحقيقي هو الأحكام الإلهية، ومعرفة فقه آل محمد، هذا هو العرفان الحقيقي والعمل به هو حقيقة التقوى "[98]

وبعد أن عرضنا بإيجاز للخلاف داخل التشيع حول العرفان والتصوف، ننتقل إلى بيان آراء المدرسة التفكيكية ورجالها من تلك المسألة، والنظر فيما قدموه من نقد، وهل كان متوجها للعرفان في ذاته، أم لما حدث من خلط وعدم تمييز بينه وبين خطاب الوحي، لا سيما مع ما عرف عنهم من رفض للتأويل، أو فهم الدين بعيدا عن الأئمة وما نقل عنهم من مرويات .

ولا شك أن الفهم العرفاني للدين لا بد أن يصاحبه ولع بالتأويل، وهو ما حاربه التفكيكيون معتقدين أن الخطاب الديني يمكنه أن يعتمد ـ لتتميم فراغاته ـ على العقل البديهي، وأن يخضع لإطار النص ولا يتجاوزه، وهذا ما رفضه التأويل الصوفي والفلسفي، لا سيما عند ابن عربي وصدر المتألهين الشيرازي99 .

وإذا ابتدأنا بموقف الميرزا الأصفهاني مؤسس المدرسة، فسوف نجده كثير النقد للعرفان والتصوف وآراء العرفانيين المختلفة في الإلهيات وغيرها، ولعل أهم ما قدمه من اعتراضات هو ما وجهه للمنهج الصوفي نفسه، وموقفه من المعرفة الإلهية والوجودية مقارنة بالمنهج القرآني، فالمنهج القرآني في بيان المعارف الإلهية قائم — في رأيه — على الدعوة إلى الرب العزيز جلت عظمته لا إلى حقيقة الوجود الذى هو آية من آياته الكبرى [100]، بينما " أساس كشف الصوفية هو البرهان بعد العيان، وقد عرفت فساده بما لا مزيد عليه، فهذه الضلالة والجهالة للبشر لأجل إعراضهم عن باب العلم الإلهي، وهو علم القرآن بتعليم حملته وإقبالهم إلى منسوجات الفلاسفة، و مخترعات المشايخ والمراشد، فمقتضى العدل من الله جل جلاله سد باب العلم عليهم، وإن كانوا سالكين إليه تعالى خالصاً لوجهه، لأنهم تركوا باب العلم، وأرادوا الدخول من غير الباب فحجبوا، ولو عرفوا حقيقة الوجود على ما هي عليها لعرفوا كنه الحقائق وتحققها، وبقائها وزوالها بالوجود تحت مشيئة مالك الوجود"[101]

كذلك انتقد الأصفهاني مبدأ صوفيا أساسيا، بل هو الغاية العظمى والمقصد من سائر الأحوال والمقامات عند الكثير من التصوف وهو الفناء، مشيرا إلى أن " العرفاء يزعمون الفناء فيه — أي في الله

---

[98] – الصياد ، محمد : **فقه الانتظار** ص 96 .

[99] – حب الله : **المدرسة التفكيكية وسؤال المنهج**، ضمن المدرسة التفكيكية وجدل المعرفة ص 13، 14 .

[100] – الأصفهاني : **أبواب الهدى** ص 251 .

[101] – المصدر السابق ص 252

سبحانه – بالتجريد؛ وهذا الزعم منهم مبني على تجرد النفس، وأنها الحي العاقل بذاتها، وعند التجريد حيث أَنهم يرون الوجود بلا حد، ويغفلون عن إنيتهم ولايشعرون بها، فيزعمون فناءهم في الوجود الذى هو الله بزعمهم؛ فلا غير هناك أصلا، وهو التوحيد الخالص عندهم "[102] وبعد أن عرض الأصفهاني لمذهب الصوفية في الفناء عقب عليه بنقد شديد فقال " أما الفناء في الله جل جلاله فهو كذب وتوهم محض، نشأ من الاحتجاب عنه تعالى، لإدبارهم عن علوم القرآن ومتابعتهم لمقالة فلاسفة يونان "[103]

ويتكرر الموقف الناقد للتصوف عند أحد رجال التفكيكية الأوائل، وهو مجتبى القزويني والذي يرى أن التمايز والفصل والعداوة بين طريقة الفقهاء والمتبعين للقرآن والسنة، وبين طريقة الفلاسفة والعرفاء كانت متقررة من قديم الأيام، وكان كل فريق يرى أن طريقه هو الحق ويتبرأ من أصحاب المنهج الآخر، وقد استفاض القزويني في نقل نصوص علماء الشيعة في ذم العرفاء والمتصوفة والكتب التي صنفت في ذمهم والرد عليهم[104].

ولأحد التفكيكيين – وهو علي النمازي الشاهرودي – كتاب مستقل في هذا الباب عنوانه " تاريخ الفلسفة والتصوف " وقد أبان فيه بكل وضوح عن موقفه الرافض للتصوف والعرفان، ومباينته للدين وأقوال أئمة التشيع، حيث قال في مقدمته " ليكن واضحا وجليا لدى الأخوة المؤمنين وطلاب العلوم الدينية بأن هذا الكتاب الذي يحمل عنوان تاريخ الفلسفة ' والتصوف 'كتاب يكشف الأسرار غير المعلنة للمتصوفة وعقيدتهم الفاسدة؛ كما أنه يبين بشكل واضح بأن كلام مدعى المكاشفة والشهود (أهل التصوف) لا يختلف عن آراء الفلاسفة وأهل العرفان، وأن نتيجتهما واحدة، وأن أتباع كلا المسلكين يستمد نظرياته من أولئك الذين سبقوا السيد المسيح عليه السلام، وليس لهؤلاء أية علاقة بأية شريعة سماوية، وينسبون أنفسهم إلى الشرع كذباً وزوراً، بيد أن جميع الشرائع السماوية والعلوم والمعارف الالهية تخالف طريقتهم، وأن القرآن الكريم والروايات والخطب والأدعية، وكذلك العقل والفطرة يحكمان ببطلان وفساد ادعاءاتهم "[105]

---

[102] – **المصدر السابق** ص 175 .

[103] – **المصدر السابق** ص 175 .

[104] – انظر علم الهدى، باقر : **موقف العلماء من الفلسفة والعرفان** ص 30 .

[105] – الشاهرودي ،علي النمازي: **تاريخ الفلسفة والتصوف** ص 20 .

ومن التفكيكيين الذين عنوا بنقد التصوف منهجا ومسائل ورجالا : جعفر سيدان، وقد حكم على المنهج الصوفي القائم على اعتبار الكشف والشهود ميزانا للمعرفة ووسيلة لها بأنه منهج باطل وغير صحيح، حتى مع إمكان الوصول في بعض الأحيان إلى الحقيقة من خلال الكشف والمشاهدة، لكن لا يمكن جعل ذلك ميزانا للمعرفة106، وأدلة بطلان المنهج الصوفي الكشفي عند سيدان متنوعة، منها أن كثيرا من مسائله مخالف للأمور اليقينية والقطعية، كما أن بعضها يناقض الآخر، وتختلف من شخص لآخر ومن مكاشفة لأخرى، بما لا يمكن أن تكون ميزانا لبيان الحق من الباطل والصواب من الخطأ 107.

أما محمد رضا حكيمي فقد عرض لجوانب عديدة من القضايا المتعلقة بالعرفان، وانتقد تبنيه منهجا للوصول إلى الحقائق، وحصر المنهج الصحيح في الاهتداء بنور القرآن، وأقوال العترة المذكورة في كتب الشيعة، وهو يفسر اختيار البعض لطريق العرفان بأنهم اصطدموا ببعض الموضوعات التي عجز العقل عن الوصول إلى حقائقها الكاملة، فتوجهوا ناحية الكشف والإشراق، لكي يجدوا الوسيلة هناك والمخلص والحل، وقد عدوا حاصل هذا الطريق، أي الإشراق والعرفان، كاملا، بل رأوه آخر مراحل السير التكاملي للإنسان[108]، وإذا كان هذا طريق من اختاروا العرفان، فثمة فريق آخر هم أصحاب المنهج الصحيح عند حكيمي، وهم العلماء الذين اهتدوا بنور القرآن والعترة، وأدركوا أن سبيل الوصول إلى الحقائق منحصر بطريق القرآن الخالص وأهل البيت، وأن تلقي المعارف غير ميسر إلا عبر الحركة الدقيقة والخالصة في مسير الشرع المطهر، أي عبر سلوك شرعي دقيق ومنضبط[109].

ويرفض حكيمي بحسم كل تصوف أو عرفان لا يبنى على أصول التشيع لأنه لا يمكن ابتداء سلوك الطريق بدون الاتباع التام للمعصوم، وكل محاولة للسلوك بدون اتباعه تعني السير وراء السلوك المأخوذ من المصادر الأجنبية الوافدة مثل السلوك الهندي والسرياني ورهبان بين النهرين، ثم على فرض إمكانية السلوك فإنه يستحيل في رأيه بلوغ الحقيقة بدون الاتباع التام للمعصوم في الأصول والفروع110، وهو

---

106 – سيدان، جعفر: **ميزان المعرفة الدينية** ص 8 .

107 – المصدر السابق ص 8، 9 .

108 – **المدرسة التفكيكية وجدل المعرفة** ص 351 .

109 – المصدر السابق ص 351، 352 .

110 – حكيمي، محمد رضا : **المدرسة التفكيكية** ص 78 .

يحتج على ذلك بما روي في كتب الشيعة عن الأئمة من مرويات، مثل «بنا عرف الله وبنا عبد الله»111

وإضافة لنقد التصوف والعرفان إجمالا، فقد خصص التفكيكيون جانبا من مصنفاتهم لنقد بعض الأفكار الصوفية العرفانية[112]، وبعض الشخصيات التي كان لها تأثير كبير ، ومن الأفكار التي لقيت انتقادا شديدا من التفكيكيين فكرة وحدة الوجود، وقد ألحوا على ما فيها من ضلال بل كفر، ومخالفة لما عليه أئمة أهل البيت، كما تدل الروايات المعتمدة عندهم، حيث يرى كثير من الشيعة غير العرفانيين[113] أن نفي الحلول ووحدة الوجود والإقرار بأن الله خلو من خلقه وخلقه خلو منه كل ذلك متواتر أو مستفيض في روايات أهل البيت، كما أن كثيرا من المرجعيات الشيعية قديما وحديثا قد اعتبروا هذا المعتقد كفريا ومناقضا لأصل الإسلام[114]، وممن نص على ذلك الخوئي "[115] و البروجردي[116] و محمد باقر الصدر [117].

أما التفكيكيون فقد عنوا بالرد على هذه المقالة الشنيعة، ولأحد رجالهم وهو جعفر سيدان كتاب مستقل في هذا الموضوع، ضمن دروسه العقائدية عنوانه " السنخية[118]، أم الاتحاد والعينية، أم التباين "[119] بين فيه بتفصيل بطلان عقيدة وحدة الوجود، أو الاتحاد، وأثبت مباينة الخالق للمخلوقات، مستدلا على

---

111 – يشير حكيمي إلى ما في كتبهم من قول جعفر الصادق " بنا عرف الله وبنا عبد الله، نحن الادلاء على الله، ولولانا ما عبد الله " **بحار الأنوار** ج 26 ص 260 .

112 – انظر سيدان، جعفر : **طريقتنا في المحاورات العلمية** ص 19، 26، **وميزان المعرفة الدينية** ص 22، و **خراسان ومدرسة معارف الإلهية** ص 20، و مروارید ، علي حسن : **تنبيهات حول المبدأ والمعاد** ص 110، 131 .

113 – انظر السند : **الفوائد العقائدية** ص 35 .

114 – وقد عرضت بعض كتب الفقه الشيعية الشهيرة للخلاف حول نجاسة القائلين بوحدة الوجود باعتباره معتقدا كفريا، ونصت على أن القائلين " بوحدة الوجود من الصوفية إذا لم يلتزموا بالأحكام الإسلامية فالأقوى عدم نجاستهم . إلا مع العلم بالتزامهم بلوازم مذاهبهم من المفاسد " انظر العروة الوثقي لليزدي ج 1 ص 145، ودليل العروة الوثقى تقرير بحث شيخ حسين الحلي لحسن سعيد ص 469 .

115 – الخوئي : **محاضرات الخوئي في المواريث** لمحمد على الخرسان ص 167 .

116 – البروجردي : **تفسير الصراط المستقيم** ج 3 ص 369 .

117 – الصدر، محمد باقر : **شرح العروة الوثقى ج** 3 ص 314 .

118 – كلمة السنخ من الكلمات التي تتردد كثيرا لدى الشيعة، ويقصد بها الأصل والأساس، فإذا قيل هذا الشيء يسانخ ذلك الشيء أي أنهما يشتركان في أصل وأساس واحد،انظر جعفر سيدان : السنخية أم الاتحاد ص 28 .

119 –انظر سيدان : **دروس عقائدية، السنخية أم الاتحاد والعينية أم التباين**، تعريب ماجد الكاظمي .

ذلك بنصوص القرآن والسنة وروايات أئمتهم والدليل العقلي، مع ذكر اللوازم الباطلة التي تلزم القول بوحدة الوجود، كذلك نقل باقر علم الهدى نصوصا كثيرة لعدد من أعلام الشيعة المشاهير، يبطلون فيها عقيدة الاتحاد أو وحدة الوجود، حتى إنهم حكموا على من قال بأن " الله تعالى نفس الوجود وكل موجود فهو الله تعالى، وهذا عين الكفر والإلحاد "[120]، ولعلي حسين مروارید نقد قوي للقول بوحدة الوجود عند ابن عربي، والمتأثرين به، وقد اعتبر القول بأنه لا يوجد إلا حقيقة واحدة وموجود واحد قولا مخالفا " لضروريات الأديان ولما يحكم به العقل والفطرة السليمة والوجدان، وأوجب أيضا ارتكاب التأويلات لنصوص الآيات والروايات الصادرة عن أهل بيت الوحي "[121]

وإلى جانب انتقاد التفكيكيين للقضايا والمسائل العرفانية، فقد انتقدوا عددا من العرفاء المشاهير وعلى رأسهم ابن عربي والمتأثرين به[122]، وقد نقل باقر علم الهدى الحكم عليهم بالكفر والزندقة عن عدد من رجال الشيعة، ومنهم الأردبيلي الذي قال عنهم " إن بعض المتأخرين من القائلين بوحدة الوجود، مثل محيي الدين العربي والشيخ عزيز النسفي، وعبدالرزاق الكاشي، قد تجاوزوا الكفر والزندقة،وقالوا بوحدة الوجود. وأن كل شيء هو الله، تعالى الله عمّا يقوله الملحدون علوا كبيرا "[123]

لكن من الملاحظ أن انتقاد التفكيكيين وغيرهم لهؤلاء العرفاء — لا سيما من غير الشيعة الخلص – لم يخل من تعصب مذهبي، ولم يكن مبعثه فقط ما في آرائهم من خلل وانحراف عقدي، وإنما لأنهم معدودون بصورة ما في عداد أهل السنة، ولا يعتقدون بالإمامة كما يعتقدها الشيعة .

ومن نماذج ذلك أن الشاهرودي[124] انتقد ابن عربي، لأنه حكى في فتوحاته أنه عرج به إلى السماء فرأى أبا بكر قريبا من العرش، بمعنى أن درجته كانت أعلى من بعض الأنبياء، ومثار الإنكار عند الشاهرودي ليس في عروج ابن عربي ووصوله لقرب العرش فحسب، بل لأن كلامه يعني مدح أبي بكر وإثبات منزلته الرفيعة، كذلك انتقد جعفر سيدان ابن عربي في مكاشفته أن الرسول — صلى الله عليه

---

[120] – علم الهدى : **موقف العلماء من الفلسفة والعرفان** ص 20 .

[121] – مروارید : **تنبيهات حول المبدأ والمعاد** ص 110 .

[122] – انظر علم الهدى : **موقف العلماء من الفلسفة والعرفان** ص 20 – 22، و الشاهرودي : **تاريخ الفلسفة والتصوف** ص 71، و مروارید : **تنبيهات حول المبدأ والمعاد** ص 110، 131 وسيدان :**طريقتنا في المحاورات العلمية** ص 19، **وخراسان ومدرسة معارف الإلهية** ص 20، وحكيمي : **المدرسة التفكيكية** ص 77 .

[123] – علم الهدى : **موقف العلماء من الفلسفة والعرفان** ص 21 .

[124] – انظر الشاهرودي : **تاريخ الفلسفة والتصوف** ص 73 .

وسلم – لم يعين وصيا من بعده، وهو ما يخالف مذهب الشيعة[125]، ووصل الأمر بحكيمي أن ينتقد ابن عربي، لأنه كان يتبني آراء فقهاء العامة — والمقصود بهم أهل السنة – وفتاويهم [126].

ولا يقتصر هذا الإنكار عند رضا أستادي على ابن عربي وحده، بل على كل عارف ليس شيعيا، حيث قال " إن بعضاً ممن يسمونهم العرفاء الكملين لا يرون عليا محورا للحق والباطل، مدعين في الوقت عينه أحوالا من الكشف والشهود، والسؤال المثير دائماً هو: كيف نستطيع الاعتماد على هذا الكشف والشهود؟! وكيف يمكن اعتبارهم عارفين حقيقيين بالله تعالى بما للكلمة من معنى؟! هل المفترض السعي والتفتيش هنا وهناك عن شيء يدل ولو بالقوة والتأويل على تشيعهم حتى تثبت إماميتهم "127

كذلك حظي صد الدين الشيرازي بانتقاد كثير من التفكيكيين، وقد تعددت أسباب ومناحي هذا النقد، ما بين نقد منهجه الإشراقي، أو أشهر فكرة لديه وهي نظرية الحركة الجوهرية128، أو آرائه في القول بوحدة الوجود والمعاد الجسماني129، أو ما اعتبروه طعنا من الشيرازي للفقهاء وتجهيلهم، مع أنه أكثر من مدح ابن عربي والثناء عليه، متغافلا عن كونه من متعصبي النواصب وفقا للمعتقد الشيعي130، وقد ثمن بعض الدارسين الشيعة جرأة المدرسة التفكيكية على انتقاد الملا صدر ومدرسته، لا سيما إذا وضعنا في الاعتبار ما أحاط بشخصه وفكره من هالة ومكانة لدى الاثني عشرية المتأخرين، ويكفي في الإشارة لتلك المكانة الضخمة أن نسوق شيئا من الأوصاف والألقاب التي أضفاها الخميني عليه، حيث وصفه بأنه " مجدد الحكمة المتعالية، ومؤسس الفلسفة العالية، شيخ مشايخ الأولياء والحكماء، صدر صدور المتألهين والعرفاء "131

---

[125] – انظر سيدان : **ميزان المعرفة الدينية** ص 9 .

[126] – انظر حكيمي : **المدرسة التفكيكية** ص 77 .

[127] – استادي : **المدرسة التفكيكيّة أوراق وتأملات**، ضمن المدرسة التفكيكية وجدل المعرفة ص 112 .

[128] – انظر علم الهدى ، محمد باقر: **سد المفر على منكر عالم الذر** ص 468 .

[129] – انظر سيدان : **ميزان المعرفة الدينية** ص 22، و علم الهدى : **موقف العلماء من الفلسفة والعرفان** ص 26، وحكيمي : **الاجتهاد التحقيقي** ص 33، **والمدرسة التفكيكية وجدل المعرفة** ص 245 .

[130] – انظر الشاهرودي، علي النمازي : **تاريخ الفلسفة والتصوف** ص 91، وقد عزا هذا الحكم على ابن عربي للنوري : خاتمة مستدرك الوسائل ج 2 ص 239، 240 .

[131] – الخميني : **التعليقات على الفوائد الرضوية** ص 91 .

ومع أن محمد رضا حكيمي تفكيكي الوجهة، فقد سار على نفس الوتيرة، وأسرف في كيل المديح لملا صدرا وفلسفته، زاعما أن الشيرازي أطل " بأفق جديد، ففاق معاصريه، وأحاط بجميع عقائد وأفكار المتأخرين، وأبدع بنفسه طريقة جديدة، وخلف تراثاً عظيماً في المسائل الالهية لا مثيل له ولا نظير " أما فلسفته في الحكمة المتعالية، فقد تضمنت " أكمل البراهين النظرية، وأثمن القواعد الكشفية، كما أن كتبه في مجال التحقيق في المسائل الفلسفية والتدقيق في معضلات الفن الإلهي أدق وأعمق بكثير من آثار وأفكار الشيخ الرئيس ابن سينا "[132]

وقد وصل الحال بمدير حوزة قم السابق رضا أستادي أن ينادي بما يفترض أن يكون مفروغا منه ومقررا لدى مرجعيات الشيعة، حيث قال " إن تعاملنا مع مقولات الملاّ صدرا الشيرازي والفيض الكاشاني والفيّاض اللاهيجي والميرداماد الاسترآبادي، في الأخذ ببعضها ورفض البعض الآخر، لا يختلف عن تعاملنا مع مثل : الشيخ البهائي والمجلسي الأول والثاني، في الأخذ ببعض آرائهم ورفض بعضها الآخر، فالجميع معروضون على الأدلة والقرآن والروايات، ليعرف ما نقبله منها وما نرفضه . لا يفترض جعل الملا صدرا صنما أو إلها لا يتجرأ أحد على الاعتراض على أفكاره ومعتقداته، بل يتهم المعترض بالجهل وعدم الفهم، كما يفترض في المقابل أن لا نعتقد بعصمة المجلسي، بحيث يكفر كل منتقد له "[133]

ولعل تلك الهالة التي حظي بها الملا صدرا تفسر لنا إشادة بعض الدارسين الشيعة بما اعتبروه اختراقا عظيما أحدثته المدرسة التفكيكية في الثقافة الإيرانية من خلال نقدهم صدر الدين الشيرازي بكل ما يمثله من مكانة غير عادية في الثقافة الإيرانية حتى كاد ـ بل صار ـ صنماً يصعب تجاوز ثوابته، بينما اعتبره التفكيكيون " خليطا من مدارس متكاثرة، ومختلفة ومتباينة، إنه وليد غير شرعي ـ إن صحّ التعبير ولاق ـ من وجهة نظرهم، لهذا يجب كسر صنميته، وتحطيم الهالة المقدسة المفتعلة حوله . إن التفكيكيين ـ مهما كان تقويمنا لرؤاهم الفكرية ـ عبروا عن شجاعة عالية في نقد الملا صدرا ومدرسته، وهي شجاعة تبقى ضرورية على الدوام، ليس مع الملا صدرا فحسب، بل مع كل رجال الفكر والمعرفة، فحسن الظن بالمفكرين شيء، وصواب أفكارهم شيء آخر "[134]

لكن المسألة لم تكن بتلك البساطة، لأن المجتمع الشيعي الإيراني كان دائما أرضا خصبة لجهود فلسفية، وأنشطة صوفية " وما زالت إيران إلى اليوم ساحة حراك غاصة بمختلف أشكال الفعل الفلسفي

---

[132] – حكيمي : **المدرسة التفكيكية** ص 35 .

[133] – أستادي، رضا : **المدرسة التفكيكية أوراق وتأملات**، ضمن المدرسة التفكيكية وجدل المعرفة ص 108 .

[134] – حب الله : **المدرسة التفكيكية وسؤال المنهج**، ضمن المدرسة التفكيكية وجدل المعرفة ص 14 .

في الدين، وأنماط النشاط الصوفي والعرفاني، حتى كاد هذا الوضع، بل صار، جزءاً من الثقافة العامة، ولهذا وجدنا أن الحركة الإصلاحية الدينية الإيرانية منذ بدايات القرن العشرين، كانت ـ وما تزال ـ تعتبر التصوف والمتصوفة، وكذلك الفلاسفة والحكماء، خطا أحمر لا يجوز تجاوزه، يؤكد ذلك أبرز رجالات النقد الديني المعاصرين من أمثال: عبدالكريم سروش، ومصطفى ملكيان، ومحمد مجتهد شبستري...إذن فالخطوة التفكيكية كانت ـ وهنا حساسيتها ـ مواجهه ضروسا مع ثقافة مجتمع بأكمله، اعتاد على فهم الدين من خلال الفلسفة التي لا يسمح التفكيكيون بمرادفتها للعقل، والتصوف الذي لا يسمح التفكيكيون بمرادفته للأخلاق وأسس العقل العملي" [135]

ونختم الكلام عن موقف التفكيكيين من العرفان بالإشارة إلى مسألة مهمة، وهي التساؤل عن علة نقدهم الشديد للعرفان والتصوف، وهل يرجع إلى إنكارهم الكشف والشهود والعرفان كحقائق ثابتة في نفسها، أم أن مشكلتهم في الخلط الذي حدث بين تلك المصادر وبين الوحي، وما ترتب على ذلك من تأويلات مختلفة ؟ هناك من الدارسين الشيعة136 من مال إلى أن التفكيكيين لم ينكروا الكشف والشهود بقدر ما أرادوا إنكار مساهمته الموغلة في تفسير النص الديني، وهم يرفضون أيضا تطويع النص لصالح المقولات الفلسفية النظرية أو كشوفات الروح، فالنص غني بذاته، قادر على بيان المراد منه بوسائل البيان اللفظية والسياقية المختلفة، لكن المطالع لمواقف التفكيكيين السابقة والتي عرضنا لنماذج لها، يتبين له أن الخلاف أكثر عمقا وأشد رسوخا من هذا الرأي، وأن مشكلتهم — لا سيما الأجيال الأولى منهم – مع العرفان ليست مقصورة في محاولات خلطه بالوحي، لكن لخلل جوهري في منهجيته ومضمونه ورجاله وآثاره .

خاتمة البحث.

ثمة عدد من النتائج التي خلصنا إليها في هذا البحث، ومن أهمها ما يلي :

–حفل التشيع بالكثير من الانقسامات وظهور الفرق والاتجاهات داخل المذهب، ولم يتوقف هذا الأمر حتى عصرنا هذا الذي شهد ظهور مدرسة شيعية جديدة وهي المدرسة التفكيكية .

---

[135] – المصدر السابق ص 13 .

[136] – المصدر السابق ص 13 .

–يقصد بالتفكيك الذي تبنته تلك المدرسة : الفصل بين المسالك المعرفية الثلاثة، وهي المسلك القرآني والعرفاني والفلسفي، والدعوة إلى فهم النصوص فهما خالصاً، بعيداً عن عملية التأويل، والمزج بينها وبين الأفكار والمذاهب والنحل الأخرى، وهناك أشخاص كثيرون ينتمون للتفكيكية أشهرهم مؤسسها مهدي الأصفهاني، وموسى الزرآبادي، ومجتبى القزويني، وعلي النمازي الشاهرودي، وجعفر سيدان، ومحمد رضا حكيمي وغيرهم، ولكل واحد من هؤلاء مؤلفات عدة.

–تبنت المدرسة التفكيكية العديد من الأصول والمنطلقات الفكرية تتمحور حول مبدئها الأساسي وهو الفصل بين المناهج المعرفية الثلاثة الكبرى : الوحيانية والفلسفية والعرفانية، ومن تلك الأصول: رفض التأويل، والتعويل على مرويات الأئمة الشيعية، والأخذ بظاهر النصوص، والنقد الشديد للفلسفة والتصوف .

– دار خلاف طويل حول التصوف داخل التشيع الاثني عشري، فهناك من أيده ودافع عنه بل تبناه عمليا، ورأى أن الصلة بين التصوف والتشيع وثيقة، وأن كلا المذهبين يرجعان إلى أصل واحد وهو نصوص علي بن أبي طالب رضي الله عنه،وهناك فريق آخر انتقده وحاربه بشدة،ورأى أنه تحريف وتشويه للتشيع الحقيقي من وجهة نظرهم .

–عرفت المدرسة التفكيكية بموقفها الناقد بشدة للعرفان الصوفي، ورأت أن مزج هذا العرفان بمقررات الوحي قد أحدث خللا في الفهم وتشويشا على الحقائق، ودعوا إلى تنحية تلك المقررات العرفانية عن النصوص وطريقة فهمها .

– انتقدت التفكيكية كثيرا من أصحاب التصوف الفلسفي مثل ابن عربي، ومن تأثر به مثل صدر الدين الشيرازي كما انتقدوا القول بوحدة الوجود، أو الحلول والاتحاد .

–رغم كل ما قدمت التفكيكية من انتقادات للعرفان وأهلها فإنها تظل مدرسة شيعية في أصولها الكبرى وثوابتها العقدية، ولعل جانبا كبيرا من محاولتها لنقد العرفان الصوفي كان يقصد الرجوع إلى النصوص المروية عن الأئمة والتعويل عليها وحدها، وعدم خلطها بآراء الصوفية .

أهم التوصيات

– لعل أهم توصية للبحث هي لفت أنظار الباحثين في التشيع إلى عدم الاقتصار على تناول جذوره الأولى ، وأعلامه السابقين ، ومدارسه القديمة فحسب – مع أهمية ذلك وضرورته – لكن تبقى الحاجة ماسة إلى متابعة

المذهب الاثني عشري في تطوراته الحديثة والمعاصرة ، ورصد أبرز الاتجاهات والأفكار والمدارس والأعلام التي تشكلت في العصور المتأخرة ، وصارت تؤثر تأثيرا كبيرا على معتنقي التشيع ، وتستأثر بتوجيههم.

– وإضافة إلى أهمية تناول الاتجاهات الشيعية المعاصرة ذات البعد العقائدي والشرعي ، فثمة حاجة لدراسات أخرى تركز على الاتجاهات ذات البعد الفكري بمعناه الواسع ، وقد ظهرت شخصيات عدة من هذا القبيل داخل التشيع في العصر الحديث على تنوع مشاربها ، ما بين مهتم بقضايا الحرية والعدالة الاجتماعية ونظام الحكم ، وما بين متأثر بالأفكار الحداثية الغربية ونظريات إعادة قراءة الفكر الديني ، وهناك أسماء كثيرة مثل : النائيني ، ومهدي بازركان ، ومرتضى مطهري ، ومجتهد شبستري ، وعبد الكريم سروش ، ومصطفى ملكيان ، وغيرهم

– يوصي البحث أيضا بإفراد المدرسة التفكيكية بدراسة مستقلة تتناول نشأتها وتطورها وأعلامها وأبرز أصولها وما الذي أضافته للتشيع المعاصر .

– كذلك من المهم عقد دراسات مقارنة بين التفكيكية والمدرستين الكبيرتين : الأخبارية والأصولية لتحديد أوجه الاتفاق والاختلاف بينهما .

قائمة بأهم المصادر والمراجع.

● إسلامي ، حسن ، **المدرسة التفكيكية**، عرض ودراسة، ضمن قراءات معاصرة في النص القرآني، مجموعة مؤلفين، (بيروت، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، ط1، 2008 م)

● الأصفهاني، الميرزا مهدي ، **غاية المنى في معراج القرب واللقا** (طهران، مؤسسة الآفاق، ط1، 1434هـ)

– **أبواب الهدى** (طهران، 1387 هـ)

● تيرنر، كولن ، **التشيع والتحول في العصر الصفوي**، ترجمة حسن علي عبد الساتر (بيروت ،منشورات الجمل، ط1، 2008 م)

● د. جهانكيري، محسن ، **محي الدين ابن عربي، الشخصية البارزة في العرفان الإسلامي** (بيروت، دار الهادي، ط1، 1424هـ – 2003م)

● د. حب الله، حيدر ، **المدرسة التفكيكية وجدل المعرفة الدينية**، مجموعة مؤلفين، إعداد وتقديم حيدر حب الله، (بيروت، مؤسسة الانتشار العربي، ط1، 2015م)

●حكيمي، محمد رضا ، **المدرسة التفكيكية** (لبنان، دار الهادي، ط1، 1421هـ – 2000م)

– **الاجتهاد التحقيقي** (لبنان، دار الهادي، ط1، 1421هـ – 2000م)

- د. الحمام ، زيد ، **العلاقة بين الصوفية والإمامية** (مجلة البيان، ط1، 1432هـ)
- الحيدري، كمال ، **شرح تمهيد القواعد في علم العرفان النظري** (بغداد،مؤسسة الإمام الجواد للفكر والثقافة، 1436 هـ – 2014م)

-**العرفان الشيعي، رؤى في مرتكزاته النظرية**، ومسالكه العملية (دار فراقد، ط1، 1429هـ – 2008 م)

- زكريا داود ، **المدرسة التفكيكية والتأصيل للعقل الشيعي**، مجلة البصائر العدد 35، السنة السادسة عشرة، 1426هـ – 2005م
- سرور ، إبراهيم حسين ، **مدرسة العرفاء**، دار الكاتب العربي (بيروت، ط1، 1429هـ – 2008م)
- السند ، محمد ، **إسلام معية الثقفين** (نينوا، قم، ط1، 1392 هـ)
- سيدان ، جعفر ، **دروس عقائدية، السنخية أم الاتحاد، والعينية أم التباين**، تعريب ماجد الكاظمي (مشهد، 1390ش)

– **خراسان ومدرسة المعارف الإلهية**، حوار مع جعفر سيدان، علي ملكي الميانجي، ترجمة حسين المدرسي (قم، دار الولاية للنشر، ط1، 1435هـ)

- الشاهرودي ، **مستدرك سفينة البحار** (قم، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، 1418 هـ)

-**الولاية التكوينية للنبي والأئمة**، ترجمة وتحقيق محمد جعفر المدرسي (بيروت، لبنان، شركة الأعلمي للمطبوعات)

-**تاريخ الفلسفة والتصوف**، ترجمة جواد السيد الكربلائي (منشورات الولاية، ط1، 1433هـ – 2012م)

- شبر، صلاح جواد ، **ثيولوجيا التشيع السياسي** (لبنان –كندا، ط1، 2017م)
- د. الشيبي، كامل ، **الصلة بين التصوف والتشيع** (بيروت، بغداد، منشورات الجمل، ط1، 2011م)
- الشيرازي، صدر الدين ، **الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة** (بيروت – لبنان، دار إحياء التراث العربي، ط 3، 1981م)
- صدر زادة ، محمد ، **الفلسفة والعرفان في ضوء الإسلام**، مؤسسة أنصاريان للطباعة والنشر، ط1، 1436 هـ – 2015م .
- الصياد ، محمد ، **فقه الانتظار، التيارات الدينية الإيرانية، والصراع على الحق المطلق للفقيه في الولاية** (المعهد الدولي للدراسات الإيرانية)
- الطهراني، آقا بزرك ، **الذريعة إلى تصانيف الشيعة** (بيروت، دار الأضواء، ط 3، 1403 هـ - 1983م)
- العاملي ، **وسائل الشيعة** (مهر، قم، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث ط 2، 1414 هـ)

– **الاثنا عشرية في الرد على الصوفية** (قم ، دار الكتب العلمية، بدون تاريخ)

● علم الهدى، محمد باقر ، **موقف أهل البيت من الفلسفة والعرفان** (إيران، دار الولاية للنشر، ط1، 1438 هـ – 2017 م)

– **موقف العلماء من الفلسفة والعرفان** (إيران، دار الولاية للنشر، ط1، 1438هـ – 2017 م)

● علي حمزة زكريا ، **العرفان والتصوف**، إشكاليات وحوارات (ط1، 1439هـ- 2017م)

● د. الغامدي ، عادل ، **الشيرازية الإمامية عرضا ونقدا**، المركز العربي للدراسات الإنسانية، ط1، 1440هـ- 2019م.

● غليف، روبرت ، **الاستمرارية والإبداع في الفكر الشيعي العلاقة بين الأخبارية والمدرسة التفكيكية** (مجلة البصائر،العدد 49، 2011م)

● غنى، قاسم ، **تاريخ التصوف في الإسلام** (سوريا، دار نينوى، ط1، 1438هـ – 2017 م)

● د. الفيفي ، عبد الله ، **التشيع الفلسفي عند الشيعة الاثني عشرية** (مكة المكرمة، دار طيبة الخضراء، ط1، 1439هـ – 2018م)

● د. قوشتي، أحمد ، **الصراع بين الأخباريين والأصوليين داخل المذهب الشيعي الاثني عشري** (السعودية، مركز تكوين للدراسات والأبحاث، ط1، 1436 هـ – 2015 م)

● كاشف الغطاء ، محمد، **أصل الشيعة وأصولها (** مؤسسة الإمام علي، ط1، 1415 هـ)

● مجموعة مؤلفين ، **ميرزا مهدي الأصفهاني رائد التفكيك في المعرفة الدينية**، ترجمة عباس جواد (بيروت، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، ط1، 2014م)

● مروارید، علي حسن ، **تنبيهات حول المبدأ والمعاد** (مشهد، ط 3، 1434هـ)

● مروارید، مهدي ، **الإشكالية المنهجية بين العقلين الفلسفي والتفكيكي، نظرية المعاد الصدرائية**، ضمن المدرسة التفكيكية وجدل المعرفة (بيروت، مؤسسة الانتشار العربي، ط1، 2015م)

● مطهري، مرتضى ، **الإسلام ومتطلبات العصر**، تعريب علي هاشم (إيران، مجمع البحوث الإسلامية، ط1، 1411هـ)

– **الكلام والعرفان**(دار الكتاب الإسلامي، ط1، 1421هـ – 2001م)

● المنتظري ، **دراسات في ولاية الفقيه وفقه الدولة الإسلامية** (بيروت، الدار الإسلامية، ط1، 1412 هـ – 1992)

● الميانجي ، علي ، **المدرسة التفكيكية، الأسس، والبناءات، والمقولات**، ضمن المدرسة التفكيكية وجدل المعرفة الدينية، مجموعة مؤلفين، إعداد وتقديم حيدر حب الله (بيروت، مؤسسة الانتشار العربي، ط1، 2015م)

● الميانجي، محمد باقر الملكي ، **توحيد الإمامية** (إيران، منشورات دار البذرة، ط1)

-**مناهج البيان في تفسير القرآن** (طهران، مؤسسة النبأ الثقافية، ط1، 2013 م)
-**نفحات من علوم القرآن** (إيران، مؤسسة العتبة الرضوية للطباعة والنشر، 1435هـ)

● والبرج، لندا ، **الأعلم عند الشيعة دراسة في مؤسسة مرجعية التقليد**، تحرير لندا والبرج، ترجمة د. هناء خليف(بغداد، دار ومكتبة عدنان،، ط1، 2013م)

● يزدان ، يد الله ، **العرفان النظري مبادئه وأصوله** (بيروت، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، ط1، 2014م)

● اليزدي، محمد مصباح ، **محاولة للبحث في العرفان الإسلامي**، نقله للعربية، محمد عبد المنعم الخاقاني (بيروت، دار التعارف للمطبوعات)

● يونس، مهدي ، **ما هو العرفان** (بيروت، دار الهادي للطباعة والنشر، ط1، 1428هـ – 2007م)